الحلل الموشية في الأخبار المراكشية

ترجمة المولف

ولادته ٦٧٧ - ٧١٣ وفاته

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد الخطيب وهو اول من تلقب بالخطيب بن علي بن احمد السلماني يكنى ابا عبد الله ويلقب بلسان الدين وبذي الوزارتين وله شهرة فائقة في عالم الادب والسياسة وكان نادرة الدهر وفريد ذلك العصر في النظم والنثر حتى انه يضرب به المثل في ذلك . اصله من مدينة قرطبة ثم سكن لوشه . وبيتهم يعرف في القديم ببني وزيد ثم صار يعرف بني الخطيب . وعائلته عريقة في المجد والعلم . ونشأ على حالة حسنة سالكا سنن اسلافه وكان مبتلا بالارق يسهر الليل الا اقله ولذلك قيل له ذي العمرين لانه كان يعمل في ليله كما يعمل في نهاره وقرأ على كثير من فحول علماء الاندلس والعدوة الغربية والمشرق وافريقيا . واخذ الطب وعلوم الفلسفة وصناعة التعديل عن جهابذة اعلام . وله تآليف كثيرة وكلها على غاية من النفاسة والتحقيق منها : 1 الحلل الموشيه الخ . 2 والاحاطه في اخبار غرناطه . 3 واللمحة البدرية في الدولة النصرية . 4 والحلل المرقومه . 5 ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار . 6 والطريقة

في ذم الوثيقة . والسحر والشحرة . وريحانة الكتاب . ونجعة المنتاب .
والصيب والجهام . والكهام . ومفاضلة مالقة وسلا . ورسالة الطاعون .
والمسائل الطبية . والرجز في عمل الترياق . واليوسفي في الطب .
والتاج المحلى في مساجلة القدح المعلى . والكتيبة الكامنة في شعراء المائة
الثامنة . ومفاضلة الجراب . والبيزرة والبيطرة . ورسالة تكون الجنين .
والوصول لحفظ الصحة في الفصول . ورجز الطب . ورجز الاغذية .
ورجز السياسه وكتاب الوزارة ومقامة السياسة . والغيرة على اهل
الحيرة . وحمل الجمهور على السنن المشهور . والزبدة الممخضة . والرد
على اهل الاباحة . وسد الذريعة في تفضيل الشريعة . وخطرة الصيف
ورحلة الشتاء والصيف . وطرفه العصر في دولة بني نصر . وتحرير
الشبه . واستنزال اللطف الموجود في سر الوجود . وبستان الدول
وهو غريب في معناه في فنون السياسة في ثلاثين جزء ولم يكمل .
وابيات الابيات فيما اختاره من مطالع ماله من الشعر . ورقم الحلل
في نظم الدول . وفتاة الخوان . ولقط الصوان يتضمن المقطوعات
وعائد الصلة . وتلخيص الذهب في اختيار عيون الكتب . وجيش
التوشيح . ورجز في اصول الفقه شرحه ولي الدين ابن خلدون .
والاكليل الزاهر . وكناسة الدكان بعد انتقال السكان . وعمل من طب

لمن احب . والدرة الفاخرة والحجج الزاخرة جمع فيه نظم ابن صفوان
والمباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية . وخلع الرسن في امر القاضي
ابن الحسن . واعمال الاعمال فيمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام
وله تآليف في فن الموسيقى وغير ذلك يربو عددها على الستين تاليفا
وقد ترجمه كثير من كبار المؤرخين تراجم حافلة بمناقبه مزدانة
بسيرته . ومنهم سليل السلاطين الامير اسماعيل بن يوسف بن السلطان
محمد بن الاحمر ترجمه في كتابه المسمى (فرائد الجمان فيمن نظمني
واياه الزمان) ومنهم العلامة الكبير ابن خلدون ترجمه واورد
سيرة حياته في تاريخه الكبير ومنهم الحافظ ابن حجر ترجمه في
كتابه انباء الغمر ومنهم المقري صاحب نفح الطيب الذي ترجم
فيه اهل الفضل من الاندلسيين فقد ترجمه في هذا الكتاب
ترجمة حافلة ونقل فيه كل ما ذكره في شانه المؤرخون بل انه اجلالا
لقدره واعظاما لذكره سمى كتابه هذا باسمه . ووسمه بوسمه .
وهو (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . وذكر وزيرها
لسان الدين ابن الخطيب) ومما ذكره فيه في التعريف بلسان
الدين قوله

هو الوزير الشهير الكبير . لسان الدين الطائر الصيت في المغرب

والمشرق المزري عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير. المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف انواعها ومصنفاته تخبر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير. علما لرؤساء الاعلام. الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والاقلام. وغني بشهور ذكره عن سطور التعريف والاعلام واعترف له بالفضل اصحاب العقول الراجحة والاحلام وقال في موضع آخر في غضون الكلام على فضله وعلمه ان له من التآليف نحو الستين وكلها في غاية البراعة.

وقد نكبه بنكبة السلطان محمد بن الاحمر بسعاية احد تلاميذته المشهور بابن زمرك الذي ولي الوزارة بعده وسعى في نكبته وقتله بتهمة ذهابه مذاهب الفلاسفة القائلين بالحلول والاتحاد وهي تهمة باطلة براه منها المؤرخون وصورة ذلك هو ما ذكره المقري

ويجمل بنا هنا ان ننقل نتفا مما ترجمه به المؤرخ الكبير ابن خلدون لتتم الفائدة وهذا ما قاله فيه رحمهما الله:

اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة كان له بها سلف معروفون في وزارتها وانتقل ابو عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتادب على مشائخه واختص بصحبة الحكيم المشهور

يحي بن هذيل واخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب واخذ عن اشياخه وامتلا حوض السلطان من نظمه ونثره من انتقاء الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما. وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الاحمر وملا الدولة بمدائحه وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته واثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤسا بابي الحسن بن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية ولما هلك ابن جياب سنة تسع واربعين وسبعمائة ولى السلطان ابو الحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يديه بالمشاركات فجمع له بها اموالا وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ باحد من قبله وسفر عنه الى السلطان ابى عنان ملك بنى مرين بالعدوة معزيا بابيه السلطان ابي الحسن فجلى في اغراض سفارته. ثم هلك السلطان ابو الحجاج وبويع ابنه محمد بالامر لوقته فافرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفا له في امره واشتركا في الاستبداد معا. ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب

سفيرا الى السلطان ابى عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استاذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فاذن له فانشد وهو قائم ابيات اهتز السلطان لها فاذن له في الجلوس وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم ثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا . وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه ثم سار فى ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فارغد عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استاذنه السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فاذن له وكتب الى العمال باتحافه فبادروا فى ذلك وحصل منه على حظ وعند مامر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وانشد قصيدته على روية الراء الموصولة يرثيه ويستجير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها

ان بان منزله وشطت داره   قامت مقام عيانه اخباره

قسم زمانك عبرة او عبرة   هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان . وبعد ذلك فصل عن الوزارة ثم اعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته وادركته الغيرة من عثمان بن يحي مقدم القوم في الدولة ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه واباه واخوته واودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان واخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بنيه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صم السلطان عن قبولها ونما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده في التفويض عنهم

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة

من القدح فيه والسعاية وربما خيل ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستاذن السلطان في تفقد الثغور الغربية وسار اليها في لمة من فرسانه ومعه ابنه علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه اذ ند بين يديه فخرج قائد الخيل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز ملك العدوة قد اوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه بها بانواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار بقصد السلطان فاهتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه واحله بمجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة واخرج لوقته كاتبه ابا يحيي ابن ابي مدين سفيرا الى الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم على اكمل الحالات من الامن والتكرمة .

ثم اغلظ المنافسون له في شأنه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابدوا ما كان كامنا في نفسه من سقطات دائه واحصاء عيابه وشاع على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوها اليه ورفعت الى قاضي الحضرة الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضي ابو

الحسن الى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم لذلك وانف لذمته ان تخفر ولجواره ان يردى وقال لهم :

هلا انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين سار هو في ركاب الوزير ابن بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ له القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى . ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه قبض على ابن الخطيب واودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر فبعث كتابه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس واحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة واهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم تل الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتى بعض

الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقاً في محبسه واخرجوا شلوه من الغد على شافة قبره طريحا وقد جمعت له اعواد واضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره واعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته .

ثم قال : وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان واعدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد . وكان عفى الله عنه ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربنا فناحت عليها البيوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذي لا يفوت

فمن كان يفرح منكم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

وقد ترجم المؤلف نفسه في آخر كتاب الاحاطة ونقل عنه المقري في سبب نكبته ما خلاصته :

وخلفني يعني اباه عبد الله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولا بالقبول مكنوفا بالعناية فقلدني السلطان سره ولما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى يدي بخاتمه وسيفه وائتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه . ولما هلك السلطان ضعف ولده حظوتي واعلى مجلسي وقصر المشاورة على نصحي الى ان كانت عليه الكائنة فاقتدى بي اخوه المتغلب على الامر فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حمله اهل الشحناء من اعوان ثورته على القبض علي فكان ذلك وتقبض علي ونكث ما ابرم من اماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاعلاق واستوصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولا ربات الامثال في تجر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الالات ورفعة الثياب واستجارة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة

والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ البيع وتناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطاب واستخلصت القرى واعملت الحيل وطوقت الذنوب امد الله تعالى بالعون وانزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهوات :

تخلصت منها نكبة مصحفية * لفقدانها المنصور من ءال عامر

ووصلت الشفاعة في مكتتبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطا في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكبور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في بري : منزلا رحبا وعيشا خفضا واقطاعا جما وجراية ما وراءها مرمى وجعلني بمجلسه صدرا ثم اسعف قصدي في تبوء الخلوة بمدينة سلا منوه الصكوك منها القرار متفقدا بالهدا والخلع مخول العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى ان رد الله تعالى على السلطان امير المسلمين ابي عبد الله امير المسلمين ابى الحجاج ملكه وصار اليه حقه فطالبني بوعد ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرا

ولا فسح فى الترك مجالا فقدمت عليه بولده وقد ساء بامساكه رهينة ضده ونقض رهينة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات

قالوا لخدمته دعاك محمد * فانفتها وزهدت في التنويه

فاجبتهم انا والمهيمن كاره * في خدمة المولى محب فيه

لما عاهدت الله على ذلك وشرحت صدرى للوفاء به وجنحت الى الانتقال لبيت الله الحرام نشيدة املي ومرمى نيتي وعملي فعاق بي وخرج لي عن الضرورة واراني ان مؤازرته ابر القرب وراكنني الى عهد بخطه فسح لعامين الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب الزيادة على تلك النسبة واشهد من حضر من العلية ثم دعى الي بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلي في اختيارات عقله وغطى من جفائي بحلمه وحثا في وجوه شهواته تراب زجري ووقف القبول على وعظي وصرف هواي في التحول ثانيا قصدي واعترف بقبول نصحي . الى ان قال ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور والاستمراض للمحذور والنظر في الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهماء ورعاية سخطة ارزق السماء

وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بادب . هذا ما قاله بنفسه في شرح نكبتـه فلينظر العلماء والوزراء ماذا كان يحمله هؤلاء الرجال في سبيل اعلاء شان امتهم وبث افكارهم وارائهم وسياستهم وليعتبر كل المسلمين بالتاريخ فانه فيه لنفس العاقل اعتبار . وذكرى لقوم يعقلون .



﴿ برنامج الكتاب ﴾

صحيفة

كتاب

﴿ الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ﴾

تاليف

ذي الوزارتين محمد لسان الدين بن الخطيب

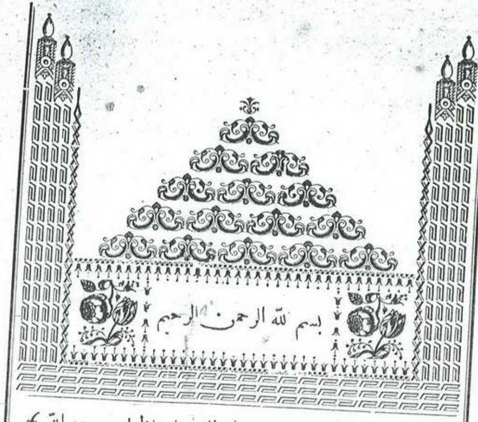
طبع على نفقة الفاضل السيد الحاج عبد الله بن الحسين الكانية الجراري المغربي السوسي والفاضل السيد ابراهيم بن محمد العبسي

وعني بتصحيحه شريكهما السيد البشير الفورتي

وقد جرى طبع هذا الكتاب على نسخة عتيقة جدا بخط بعض الائمة الاعلام من الاندلسيين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

طبع بمطبعة التقدم الاسلامية لصاحبها البشير الفورتي بنهج القني عدد ٣٤ بتونس



﴿ قال الشيخ الاديب البارع لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله ﴾

الحمد لله الذي اخرج الامور على مشيئته وتقديره * الفاتح لمن استغنى به وتوكل عليه ابواب تيسيره * والصلاة والسلام على محمد رسوله الكريم بين عباده وبسره معادن الخلق المبعوث لايضاح الحق وتقريره * والرضى عن آله واصحابه الذين آووه ونصروه وقاموا بتعزيزه وتوقيره * وجاهدوا انفسهم النفيسة في حسم سبب الشرك وتبديده * والدعاء لهذا المقام العلي المحمدي الناصري السلطاني المجاهد الذي [illegible] الاسلام بيمن نقيبته وصالح تدبيره * بصلة النصر الذي

يصحبه في حال مقامه ومسيره ﴿ اما بعد ﴾ فانه لما حدث لهذا العهد بحضرة مراكش ما وقع من الحصار والتناوش والهيج والتهارش وتحدث الناس بالايام وحوادثها واشفقوا مما يتوقعوا من خطوبها وكوارثها اذ الملة والحمد لله واحدة والنفوس لشفقة الايمان غير جاحدة فالمسلمون حيث ما كانوا اخوة لا سيما من بهذه الجزيرة وبتلك العدوة فالقلوب بتوفيق الله غير متنافرة والعزائم بحول الله تعلى متعاضدة ومتظافرة والوجوه مصروفة الى جهاد الامم الكافرة والله تعلى يطيل الاسلام ببقاء مولانا الامام الخليفة الاعظم والملجا الاعصم حامل الكل وكافل الكل ويوزع الجميع شكر نعمائه وينصره في ارضه بملائكة سمائه بفضله وكرمه . فجمعت في هذا الموضوع نبذا من عيون اخبارها وتمدد الكرة في حصارها الى غير ذلك مما كان فيه من الاحداث الكبار والوقائع ذات الاعتبار من نزول سكانها واختطاط بقعتها ومكانها وابتداء تسويرها وبنيانها وذكر الباعث لاتخاذها مقرا لسلطانها واذكر مانشا في الدولتين دولة المرابطين اللمتونية ودولة الموحدين المومنة من حروب ومقابلة ولقاء ومنازلة مع ما يندرج في اثناء ذلك من التنبيه على الوقائع الشهيرة الكائنة بهذه الجزيرة وما حدث في خلالها ببلاد العدوة من الكوائن

وحرس الديار واستفتاح المداين وحصر من حصر ونصر من نصر
جمع الله الجميع في مستقر رحمته وسلك بنا السبيل الى جنته بكرمه
ومنته واقتصرت في ذلك كله على القليل خوفا من الاكثار وانتقيته
من عدة من الاسفار مجموعة من دواوين العلماء الكبار ووضعت كل
نازلة في زمانها مندرجة فى اسم سلطانها وسقت خبر ملوكها احسن
مساق على انتظام من القول والتساق واقتصرت في الدولة السنية
اليعقوبية والمرينية على التواريخ دون الاخبار جنوحا للايجاز وميلا
للاختصار اذ لا يفي هذا المختصر كل الاستيفاء باخبار وجملة الخلفاء
على انى لم اخله من قطع الاشعار ونكت الرسائل القصار وتضمين
مسائل نادرة يتعجب من وقوعها وموعظة يعتبر بمسموعها واوصاف
كائنة تصرح بخبر تابعها ومتبوعها فيتصور للانسان الحروب
ومكائدها ومن لم يشاهدها بنفسه فكانه يشاهدها بالكيس اذا نظر
بفطنته في اخبار الناس واطلع منها على وصف الحروب والمراس
قام له ذلك مقام المشاهدة والميلان وتمثلت له الاحداث مصورة
بافصح البيان فزيد لمعرفة ذلك حنكة وتجريبا ويكسبه تخريجا وتدريبا
وتقل مبالاته بالامور ويقل اعتباره الامور المهولة ويقف على
تصريف الايام من الصعوبة الى السهولة ولولا التاريخ لضاعت

مساعي اهل السياسة الفاضلة ولم تكن المدايح بينهم وبين المدام
وهي الفاضلة وجهات الدول ومات ذكر الاول وفي ضمن ذلك
معتبر وموعظة ومزدجر يفيد قاريه حكمة والهاما وقرطس من فن
الاراء المسددة منها * لهذا حين الابتداء بما اشرت اليه من الانباء
ولما بلغ الى هذا المقدار جرمه وجب ان يوضع اسمه « فسميته »
كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية والى الله تعالى ابتهل
ان يمنح الرشد وينسي الامل والقصد انه مجيب السؤال كفيل
بصلاح الاحوال فسبحانه لا اله الا هو الكبير المتعال ذو الجلال

ذكر السبب في اختطاط مدينة مراكش وبنيانها
وارتياد موضعها ومكانها حرسها الله بمنه

سبب ذلك على ما نقله جماعة من علماء التاريخ ان الامير ابا بكر ابن
عمر ابن ابراهيم بن تورقيت اللمتوني لما خرج من الصحراء
باللمتونيين واحتلوا باغمات وريكة وكثر الخلق بها وضيقوا على اهلها
وكانوا على حال صعبة شكى اليه اشياخ وريكة وهيلانة الى الامير
ابي بكر بن عمر ما يلحقهم في ذلك من العنا والمشقة وانهوه اليه المرة
بعد المرة الى ان قال لهم عينوا لنا موضعا نبني فيه مدينة ان شاء الله
فاجتمعوا على ان يكون بناؤها بين بلاد هيلانة وبين هزميرة فعرفوا

بذلك الامير ابا بكر ابن عمر وقالوا له قد نظرنا لك ايها الامير موضعا صحراء رحب الساحة واسع الفناء يليق بمقصدك وقالوا يكون نفيس جنانها وبلاد دكالة فدانها وزمام جبل درنة بيد اميرها فعند ذلك ركب الملك ابو بكر ومعه قومه اللمتونون واشياخ المصامدة ووجوه الناس وصاروا معه الى محصر مراكش وهو خلاء لا انيس به الا الغزلان والنعام ولا ينبت الا السدر والحنظل وكان ذلك سنة اثنين واربعماية فانتقل الى تلك الرحبة فوجدوا في محصنها من المسرح الخصيب للجمال والدواب ما غبطهم بها وشرع الناس في بناء الدور من غير تسوير عليها فبينما الامير ابو بكر بن عمر قد نزل بها واخذ في بناء الديار اذ وفد عليه رسول من قبيلة لمتونة بالصحراء يعلمونه ان جدالة غارت عليهم وكانت بينهم فتنة دائمة فاستخلف ابن عمه يوسف ابن تاشفين على المغرب ودخل الى الصحراء لاصراخهم ولاخذ ثارهم من عدوهم

ذكر السبب في خروج اللمتونيين ونبذا من اخبارهم المتقدمين

هؤلاء اللمتونيون ينتمون الى لمتونة وهم اولاد لمت ولمت وجدالة ولمطة ينتسبون الى صنهاجة وهم طواغن في الصحراء رحالة لا يطمئن

بهم منزل وليس لهم مدينة ياوون اليها ومداخلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام وهم على دين الاسلام واتباع السنة وهم يجاهدون السودان (قال) ابو عبد الله ابن يحيي الزهري كان اهل بلاد السودان الذين حاضرتهم مدينة غانة منشربين فيما سلف من الدهر بدين النصرانية الى سنة تسع وستين واربعماية فاسلم اهلها وحسن اسلامهم وذلك عند خروج الامير ابي يحي ابن الامير ابي بكر بن عمر اللمتوني ولبس بين لمتونة وبين البربر نسب الا الرحم وصنهاجة يرفعون انسابهم الى حمير وانهم خرجوا الى اليمن وارتحلوا الى الصحراء وطنهم بالمغرب وسبب ذلك ان احد الملوك من التبابعة لم يكن فيمن تقدمه من ملوك قومه مثله ولم يبلغ احد منهم فضله وعزة ملكه وبعد غزوه ونكاية عدوه وقهر العرب والعجم مبالغة فانسي جميع الامم ممن كان قبله وكان قد اخبره بعض الاحبار بحوادث الايام وبالكتب المنزلة من الله على رسوله عليه الصلاة والسلام وان الله يبعث رسولا هو خاتم الانبياء ويرسله الى جميع الامم فتامن به وصدق بما ياتي به وقال فيه شهدت على احمد انه رسول الله ونظمها في ابيات من الشعر

شهدت على احمد انه * رسول الله بارئي النسم

في ابيات كثيرة ثم سار الى اليمن ودعى اهل مملكته فلم يجبه الى ذلك
الا طايفة من حمير ولما غاب اهل الكفر على اهل الايمان فكان كل
من امن به وتبعه بين قتيل وطريد ومطلوب وشريد فمنذ ذلك
لثموا الفعل نسايهم في ذلك الزمان وفروا بانفسهم وتفرقوا في
الاقطار ايادي سبا فكان سبب خروج مذهب الملثمين كما ذكر وكانوا
اول من تلثم ثم انتقلوا من قطر الى قطر ومن مكان الى مكان حتى
صاروا بالمغرب الاقصى ببلاد البربر فاحتملوا به واستوطنوه وصار
اللثام زيهم الذي اكرمهم الله به ونجاهم لاجله من عدوهم فاستحسنوه
ولازموه وصار زيا لهم بل لاعقابهم لا يفارقونه الى هذا العهد وانما
تبربرت السنتهم لمجاورتهم البربر وكونهم معهم ولمصاهرتهم اياهم
والموجب لخروجهم من الصحراء الى وطن المغرب ان احد بني
جدالة كان قد توجه الى فريضة الحج واجتاز في اياه على مدينة
القيروان وذلك سنة اربعين واربعماية فحضر بها مجلس الفقيه المدرس
ابي عمران الفسي فسأله عن قبيلته ووطنه فذكر له انه من الصحراء
من قبيلة جدالة احدى قبايل صنهاجة فقال له الفقيه ما مذهبكم فقال له
ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لاننا في الصحراء
منقطعين لا يصل الينا الا بعض التجار جهال حرفتهم الاشتغال بالبيع

والشراء لا علم عندهم وفينا اقوام يحرصون في تعليم القرءان وطلب
العلم ويرغبون في التفقه في الدين لو وجدوا الى ذلك سبيلا فعسى
يا سيدنا ان تنظر الينا من طلبتك من يتوجه معنا الى بلادنا ليعلمنا
ديننا فقال له الفقيه سانظر لك في ذلك ان شاء الله تعالى فعرض الفقيه
الامر على الطلبة فلم يوافقه احد لبعد المشقة والانقطاع في الصحراء
فدله الفقيه على رجل من فقهاء المغرب الاقصى مستوطن بالسوس
يدعى بوجاج مشهور بالخير والعبادة كانت بينهما قراءة ومعرفة
فخاطبه في القضية واكد عليه في المشاركة فيها فلما وصل اليه يحيي ابن
ابراهيم المذكور اجتمع به ودفع اليه كتابه فرحب به واكرمه
واختار له رجلا يعرف بعبد الله ابن ياسين الجزولي من طلبة الشيخ
المذكور وارسله معه ودخل الى الصحراء الى بلاد جدالة وهو
مع يحيي ابن ابراهيم اللمتوني كان قد دخل الاندلس في دولة ملوك
الطوايف ثم اقام بها سبع سنين يلازم القراءة فحصل علما كثيرا ودعا
الى المغرب الاقصى فسار معه الى قبيلة جدالة ففرحوا واجتمعوا
عليه منهم نحو سبعين شيخا من فقهائهم واهل الخير منهم يعلمهم
ويفقههم في دينهم فانقادوا اليه انقيادا عظيما ووالوه برا وتكريما
ولازموه مدة طويلة واجتمع عليه منهم عدد وافر الى ان امر عبد

الله ابن ياسين قبائل جدالة بغزو لمتونة فحاربوهم حتى دخلوا في دعوة عبد الله ابن ياسين وغزوا معه ساير قبايل الصحراء وحاربوهم وقوى امر جدالة وزاد في ظهورهم وهم ممتثلون لامره منقادون لحكمه وتوجه الى لمتونة فانقادوا له واطاعوه وكان اشد انقيادا اليه امير لمتونة ابو زكرياء يحي بن عمر وكان الامير ابو زكرياء اذا تقدم بجيشه قدم امامه الشيخ ابا محمد عبد الله بن ياسين والشيخ كان في الحقيقة الامير وهو الذى كان يامر وينهى وكان يقول لهم انما انا معلم دينكم وكان يلي لمتونة جبل فيه قبايل من البربر على غير دين الاسلام فدعاهم الشيخ عبد الله بن ياسين الى الدين فامتنعوا عليه فاشار على الامير ابي زكرياء بن عمر يغزوهم فغزاهم بلمتونة وكان حينئذ ازيد من الف فارس فهزموهم وسبوهم وقسموا اموالهم وخمسوا سبيهم فقال ارى خمس قسمة اللمتونيون في صحراهم وفقد منهم في هذه المعركة كثير وعند ذلك سماهم الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين بالمرابطين لما راى من شدة صبرهم وحسن بلائهم على المشركين قال ابو عبد الله البكري وكان للمتونة في قتالهم شدة وباس ليس لغيرهم وبذلك ملكوا الارض وكان قتالهم على البخت اكثر من الخيل وكان معظم قتالهم مرتجلين يقفون على اقدامهم صفا بعد صف يكون بين الصف الاول

منهم القنا الطوال وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحوف ولما راى الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين استقامة لمتونة واجتهادهم اراد ان يظهرهم ويملكهم بلاد المغرب فقال لهم انكم صبرتم ونصرتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتحتم ما كان امامكم وستفتحون ان شاء الله ما وراءكم فامرهم بالخروج من الصحراء الى سجلماسة ودرعة واهلها يومئذ تحت طاعة امراء مغراوة من زناتة واميرهم يومئذ مسعود بن وانود بن خزرون بن فلفول الخزرجي وذلك بعد ما خاطبوهم فلم يجيبوهم على ما طلبوا منهم فغزاهم في جيش كثير حتى غلبوا عليهم ودخلوا سجلماسة وملكوها وكانت بها اناس كثيرة وكانت بينهم وبين مغراوة حروب كثيرة وبعد ذلك توجه الامير ابو زكرياء يحي بن عمر مع امامه الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين بجيش كثيف من لمتونة ومسوفة ولمطة وهزرجة وسار بهم الى بلاد درعة فتلاقوا هنالك مع جيش جدالة فقتل الامير ابو زكرياء يحي ابن عمر وقتل معه بشر كثير ولما كان بعد ذلك قدم الشيخ ابو محمد عبد الله بن ياسين اقام الامير ابو بكر بن عمر فبايعته لمتونة وسائر الملثمين واهل سجلماسة ودرعة وانصرف الى بلاد المصامدة بقصد اغمات وطاعت له وريكة وهيلانة وهزميرة

وكان وصوله لاغمات سنة خمسين واربعمائة فتلقته اشياخ المصامدة واذعنوا له بالطاعة واحتل مدينة اغمات واستوطنها مع امامه عبد الله بن ياسين ثم انصرف الشيخ ابو عبد الله محمد بن ياسين الى بلاد تامسنا ليسكنهم ويحضهم على الطاعة فقتلته برير غواطة ولما كان في سنة ستين واربعماية استقامت الامارة للامير ابى بكر بن عمر وطاعت له البلاد ووجه عماله اليها واستوطن مدينة اغمات وتوالت عليه الوفود والجيوش من الصحراء فكثر الخلق وعظم الازدحام باغمات فشكوا اليه ما يجدونه من ذلك واشاروا عليه بالانتقال الى فحص مراكش فانتقل اليها حسبما تقدم قبل هذا وفي اثناء مقامه بلغه ما كان من ظهور جدالة على لمتونة فشرع في العودة الى الصحراء واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين

ذكر يوسف بن تاشفين رحمه الله

نسبه هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تورقيت ابن منصور ابن مصالة الحميري وفي ابراهيم يجتمع مع ابني عمه الاميرين اللذين كانا قبله ابى زكرياء وابى بكر بن عمر ابن ابراهيم بن تورقيت وكنيته ابو يعقوب بنو سير بن ابراهيم على ابو الطاهر تميم المعز ووزراؤه صهره سير ابن ابي بكر وكانت خلافته من اول ولايته

بالمغرب باستخلاف ابن عمه الامير ابى بكر بن عمر اياه وانصرافه الى الصحراء الى حين وفاته اربعا وثلاثين سنة وبالاندلس من يوم خلعه لعبد الله بن بلقين الى حين وفاته سبع وعشرين سنة ولما اخذ ابن عمه الامير ابو بكر بن عمر في الحركة فى الصحراء حسبما تقدم ذكره انفا وولاه المغرب مكانه على صورة النيابة عنه وقسم الجيش فترك له الثلث من لمتونة وانصرف بالثلثين معه داخلا الى الصحراء وذلك في سنة ثلاث وستين واربعمائة فلما قام بعده يوسف ابن تاشفين مدبرا للامور قائما بالملك واشتغل ببناء الحصن المسمى بحصن قصر الحجر برحبة مراكش وحصله تحت سور وابواب وحصنه ولما كان في سنة اربع وستين واربعمائة قوي امره وعظمت شوكته فاشترى جملة من العبيد السودان وبعث الى الاندلس فاشترى منها جملة من العلوج فاركبهم وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا شراء ماله ومن العبيد نحو الفين فاركبهم فرسانا فغلظ حجابه وعظم ملكه وافترض على اليهود في تلك السنة فريضة ثقيلة اجتمع له منها مال استعان به على ما كان بسبيله ولما كان في سنة خمس وستين واربعمائة وصل الامير ابي بكر بن عمر من الصحراء وعاد الى المغرب بعد اخذه بثار قومه واصلح من شانهم فنزل باغمات خارج المدينة

ونزلت محلته دائرة به والفى ابن عمه يوسف بن تاشفين قد استولى بالملك وطاعت له بلاد المغرب فعلم انه عزم على الاستبداد بالملك وتسابق اكثر اصحابه ممن وصل معه الى مراكش لرؤية بنيانها والسلام على يوسف ابن تاشفين اميرها وكان قد سمعوا عن ضخامته وجزيل كرامته واحسانه لاخوانه ومعارفه فاجتمع عنده من القادمين على كثير من الخلق فوصى لهم على قدر منازلهم واعطاهم بمقدار مراتبهم وامر لهم بالكسوة الفاخرة والخيول المسومة والاموال الجمة والعبيد المتعددة ولما تشوف الامير ابو بكر بن عمر على احوال ابن عمه يوسف بن تاشفين وعلم حبه في الملك وانه قد استمال نفوس من معه باحسانه وانقطع رجاؤه من الملك طلب منه تعيين يوم لاجتماعهما فيه نخرج الامير يوسف ابن تاشفين في جنوده وعبيده وتلقاه في نصف الطريق فكان اجتماعهما ما بين اغمات ومراكش على تسعة اميال منها فسلم عليه راكبا على دابته ولم تكن تلك عادته قبل ثم ترجلا وقعدا على برنس فسمى بهما بحصر البرنس فهو يعرف بذلك الى هذا العهد فتعجب الامير ابو بكر بن عمر مما راى من ضخامة ملكه ووفور عساكره وترفية جنوده وتحدث معه ثم قال يا يوسف انت اخي وابن عمي ولم ار من يقوم بامر المغرب

غيرك ولا احق به منك وانا لا غناء لي عن الصحراء وما جئت الا لاسلم عليك ونسلم الامر اليك ونعود الى الصحراء مقر اخواننا ومحل سلطاننا فشكره يوسف ابن تاشفين على ذلك واثنى عليه وحضر اشياخ لمتونة واعيان الدولة وامراء المصامدة والكتاب والشهود والخاصة والعامة واشهد على نفسه بالتخلي له عن الامر بوطن المغرب وقام فودعه الامير يوسف بن تاشفين وعاد الامير ابو بكر الى موضع نزوله من اغمات ورجع يوسف بن تاشفين الى مراكش موضع ملكه ولما وصل اليها بعث اليه بهدية اهداها اليه كان معظم ما فيها خمسة وعشرين الف دينار من الذهب العين وسبعين فرسا منها خمسة وعشرون مجهزة بجهاز محلى بالذهب وسبعون سيفا منها عشرون محلات والخمسون غير محلى وعشرون زوجا من المهامز المحلات بالذهب ومائة وخمسون من البغال المتخيرة الذكور والاناث ومائة عمامة مقصورة واربعمائة من الشوشي ومائة غفارة ومائتين من البرانيس منها بيض وكحل وحمر ومائة شقة من الكتان وغير ذلك مما يهدى للملوك وعشرون جارية من الابكار ومائة خادم وغير ذلك مما يطول ذكره من البقر والغنم والقمح والشعير وكتب اليه كتابا يعتذر فيه اليه ويرغبه في قبول الهدية ويقول له كل ذلك قليل

في حقك فطابت نفس الامير ابي بكر وقال خير كثير ولم يخرج الملك من بيننا ولازال عن ايدينا فناول اخوانه من تلك الخيرات وانصرف الى الصحراء فاقام بها ثلاثة اعوام والامير يوسف ابن تاشفين بعده بالهداية والتحف الى ان قتله السودان المجاورون له في الصحراء في بعض الحروب التي كانت بينهم وفي سنة ستة وستين واربعمائة فتح الامير يوسف بن تاشفين مدينة مكناسة واستنزل منها الخير الكثير من خزائن الزناتي وفي سنة سبعة وستين واربعمائة فتح مدينة فاس وفي سنة ثمان وستين بعدها فتح مدينة تلمسان وكان اميرها العباس بن يحي الزناتي ويوسف بن تاشفين كان يدعى بالامير فلما ضخمت مملكته واتسعت عمالته اجتمعت اليه اشياخ قبيلته واعيان دولته وقالت له انت خليفة الله في ارضه وحقك اكبر من ان تدعى بالامير بل ندعوك بامير المومنين فقال لهم حاشا الله ان نتسمى بهذا الاسم انما يتسمى به خلفاء بني العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة لانهم ملوك الحرمين مكة والمدينة وانا راجلهم والقائم بدعوتهم فقالوا له لا بد من اسم تمتاز به وبعد ما اجاب الى امير المومنين وناصر الدين نخطب له بذلك في المنابر وخوطب به من العدوتين وامر كتابه ان يكتبوا في ذلك فكتبوا ونصوا فيه ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من امير المؤمنين وناصر الدين يوسف بن تاشفين الى الاشياخ والاعيان والكافة من اهل فلانة ادام الله كرامتهم بتقواه ووفقهم لما يرضاه سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته (اما بعد) حمد الله اهل الحمد والشكر ميسر اليسر وواهب النصر والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر وانا كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله في نصف محرم سنة ستة وستين واربعمائة وانه لما من الله علينا بالفتح الجسيم واسبغ علينا من انعمه الظاهرة والباطنة وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم صلى الله عليه افضل الصلاة واتم التسليم راينا ان نخصص انفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر امراء القبائل وهو امير المسلمين وناصر الدين فمن خطب الخطبة العلية السامية فليخطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى والله ولي العدل بمنه وكرمه والسلام وكانت علامة الملك والعظمة لله . قال كاتب هذا وقد جرى في مدة الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ثامن الخلفاء من بني امية الاندلس مثل هذا وذلك انه يسمى بامير المومنين الناصر لدين الله ووافق هذين الاسمين على نفسه وقد مضت من خلافته سنة

عشر سنة وكان ذلك سنة ست وعشرين وثلاثمائة ونسخ بها ما كان يدعى اولا من اسم الامارة بعد ان سلك في ذلك مسلك ءابائه منذ استخلف الى هذه السنة قد كان لنمو فضله وتصرف الايام لمجاريه واطباق النفوس على تحليه وتعظيم صفاته واسماء ذكره وربما كان بعض اولي الفضل والتامل من الناس سموه بهذا الاسم قبل ان يلبسه دهره وخاطبه به كثير من خاصتهم في كتبهم وشعارهم فكثر ذلك عليه ووافاه من كل ثنية وجاءه من كل ناحية حتى اضطره الى حمله وحاجره بان يكون باخسا لنفسه في رفضه وهو قوي عليه مخالفة ءابائه باقتصارهم على سواه واستشهدوا عليه بما فهمه الله سليمان في الحكمة دون والده عليهما الصلاة والسلام فانفذ الكتاب بذلك الى عماله في جميع اقطار الاندلس واوصى باجراء هذين الاسمين على الالسنة في مخاطبته في الكتب عنه واليه والدعاء له بهما على منابر عماله واثباتهما في اعلامه ومطارده وطرزه ودنانيره ودراهمه ونفذ الامر بذلك وجرى العمل عليه الى ءاخر مدته. وصيره كلمة باقية في عقبه سلكوا سبيله في ذلك الى انقراض دولتهم والنسخة التي انفذ بذلك الى عماله باقطار الاندلس : بسم الله الرحمن الرحيم (اما بعد) فانا احق ممن استوفى حقه واجدر من استكمل

حظه وليس من كرامة الله ما البسه للذي فضلنا الله به واظهر اثرتنا فيه ورفع سلطاننا اليه ويسر على ايدينا ادراكه وسهل بدولتنا مرامه وللذي اشاد في الافاق من ذكرنا واعلا في البلاد من امرنا واعلا من رجاء العالمين بنا واعاد من انحرافهم الينا واستبشارهم بما اظلنا بدولتنا فالحمد لله ولي الانعام بنا واهل الفضل بما تفضل علينا به وقد راينا ان تكون الدعوة لنا يا امير المومنين وناصر الدين وخروج الكتاب عنا ووروده علينا بذلك اذ كل مدعو بهذا الاسم عيونا منتحلة ودخل فيه ومتسم بما لا يستحقه منه علمنا ان التمادي على ذلك الواجب لنا من ذلك حق اضعناه واسم ثابت اسقطناه فامر الخطيب بموضعك ان يقول به واجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله والسلام. وبعد ذلك بسنة خرج ايضا عهده ونفذ كتابه ان يكون الخطاب كله جوابا بالكناية عنه بالهاء التى هى كناية الغايب دون الكاف التى هي للمخاطب فرقا بينه وبين من دونه وان يلتزم ذلك اهل المملكة وان تخرج كتبه بالخبر عن مخاطبته تعظيما لقدره واكبارا لمحله فجرى الرسم بذلك قال كاتبه هذا ان تتبع هذا النوع يخرج منه عن الغرض المقصود من الاقتصار فاعود الى ما كنت بسبيله من التعريف باخبار الامير يوسف بن تاشفين وافتتح مدينة تلمسان

في سنة ثمان وستين واربعمائة وكان اميرها العباس بن محمد الزناتي
ولما كان في سنة سبعين واربعمائة شرع في تجديد العساكر ووفودها
وبعث الى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح
الله عليه من ملك المغرب وطاعة اهله ويوكد عليهم في القدوم فوفد
اليه منهم جموع كثيرة ولاهم الاعمال وصرف اعيانهم في مهمات
الاشغال فاكتسبوا الاموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل
مكان وساعدهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم وتوفرت عساكرهم
وعظم ملك يوسف بن تاشفين وضم من جزولة ولمطة وقبايل زناته
ومصمودة جموعا كثيرة وسماهم بالحشم وضم طائفة اخرى من
اعلاجه واهل دخلته وحاشيته فصاروا جموعا كثيرة وسماهم الداخلين
فاجتمع له في الطائفتين ثلاثة الاف فارس وفي سنة اربع وسبعين
واربعمائة وفد عليه جماعة من الاندلس وشكوا اليه ما حل بهم من
اعدائهم فوعدهم بمرادهم واعانهم . كان ممن كتب اليه حين ذلك المتوكل
على الله ابن الافطس جرت بينه وبين ملك الجلالقة خطوب كثيرة
ءال حال المسلمين بعمالته الى الضعف والاستيلاء على بلادهم وخاطبه
ملك الجلالقة بكتاب يرعد فيه ويبرق ويتشطط عليه في اداء وظيفته
من المال كل سنة فجاوبه بما نصه : وصل الينا من عظيم الروم كتاب

مدع في المقادير واحكام العزيز القدير يرعد ويبرق ويجمع تارة ثم
يفرق ويلدد بجنوده الوافرة واحواله المتظافرة ولو علم ان لله جنودا
اعز بهم كلمة الاسلام واظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام اعزة
على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون . بالتقوى يعرفون
وفي التوبة يتضرعون ولئن لمعت من خلف الروم بارقة فبـاذن الله
وليعلم المومنين وليميز الله الخبيث من الطيب ويعلم المنافقين اما
تعييرك للمسلمين فيما وهي من احوالهم فبالذنوب المركوبة ولو اتفقت
كلمتنا مع سائرنا من الاملاك علمت اي اصاب اذقناك كما كانت
اباؤك تتجرعه فلم تزل تذيقها من الحمام ضروب الالام شؤما تراه
وتسمعه واذا المال تورعه وبالامس كانت قطيعة المنصور على
سلفك اهدى ابنته اليه مع الذخائر التي كانت تفد كل عام عليه واما
نحن ان قلت اعدادنا وعدم من المخلوقين استمدادنا فما بيننا وبينك
بحر نخوضه ولا صعب نروضه الا السيوف تشهد بحدها رقاب قومك
وجلاد تبصره في ليلك ويومك وبالله تعالى وملائكته المسومين
نتقوى عليك ونستعين ليس لنا سوى الله مطلب ولا لنا الى غيره مهرب
وما تتربصون بنا الا احدى الحسنيين نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة
او شهادة في سبيل الله فيالها من جنة وفي الله العوض مما به

هددت وفرج بفتر بما مددت ويقطع بك فيما اعددت ويرجع الخبر الى الامير يوسف بن تاشفين وذلك انه لما وفد عليه جماعة من الاندلس حسبما تقدم ذكره بعث الى الاندلس برسم اهل المدد والات فاشترى له منها كثيرا وكان ذلك العام عام اقتناء العدد واتخاذ السلاح واقتناء الاجناد واختيار الرجال فبلغ جيشه الى اثنى عشر الف فارس كلهم نخبة انجاد وجاز الى الاندلس اربع مرات ﴿ الجوز الاول ﴾ سنة تسع وسبعين واربعمائة وذلك ان اهل الاندلس لما بلغهم ما كان عليه من القوة والاستعداد والنجدة والجهاد وفد عليه جماعة من وجوهها فاخبروه بحالها وبكلب العدو عليها وكان الطاغية ادفنش في سنة ثمان وسبعين واربعمائة قد غلب على طليطلة واستولى على اعمالها وحازها لنفسه وكثر الروع على الاندلس واشتد الخوف وتطرق المعتمد على الله ابن عباد ولما ملك ادفنش اعمال طليطلة وطمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها وهابت الملوك امره الكون طليطلة نقطة دائرتها خاطب المعتمد على الله ابا القاسم بن عباد يطلب منه تسليم اعمال الى رسله وعماله يشط عليه في الطلب واظهر السرور في القلب فمما خاطبه به : من الانبيطور ذي الملتين الملك المفضل الادفنش بن شانجة الى المعتمد بالله سدد الله رايه وبصره مقاصد الرشاد سلام عليك من مشيد

شرفه القنا وثبت في المنى فاهتز اهتزاز الرمح بعامله والسيف بساعد حامله وقد ابصرتم ما نزل بطليطلة واقطارها وما صار باهلها حين حاصرها بما صار في هذه السنين فاسلمتم اخوانكم وعطلتم بالرعاية زمانكم والحذر من ايقظ بالله قبل الوقوع في الحبالة ولولا عهد سلف بيننا نحفظ ذمامه ونسعى بنور الوفاء امامه لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ووصل رسول العدو وارده لكن الانذار يقطع الاعذار ولا يعجل الامر خوف الفوت فيما يرومه او خشي الغلبة على من يسومه وقد حملنا على الرسالة اليك القرمط البرهانس وعنده من التمريد الذي يلقي به امثالك والعقل الذي تدبر به بلادك ورجالك فيما وجب استنابته فيما يدق ويجل وفيما يعلم لا فيما يحل وانت عند ما تأتي به من ورائك والنظر بعد هذا من ورائك والسلام عليك يسعى بينك وبين يديك . ولما وصل الكتاب الى المعتمد ابن عباد جاوب عليه بخطه (وبعد) من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتمد بالله ابي عمر بن عباد الى الطاغية الباغية ادفنش بن شانجة الذي لقب نفسه بملك الملوك وسماها بذي الملتين قطع الله بدعواه سلام على من اتبع الهدى ﴿ اما بعد ﴾ فانه اول ما نبدأ به من دعواه انه ذو الملتين والمسلمون احق بهذا الاسم

لان الذي بلك من امصار البلاد وعظيم الاستعداد ومحيي المملكة لا تبلغه قدرتكم ولا تعرفه ماتكم وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديكم واغفل عن النظر السديد فركبنا مركبا عجز نسخه الكيس وعاطيناك دمعة كؤوس نلت في اثنائها ليس مباديك تعلم اما في العدد والعديد والنظر السديد ولدينا من كمات الفرسان وحيل الانسان وحماة الشجعان يوم يلتقي الجمعان رجال تدرعوا الصبر وكرهوا الفقر تسيل نفوسهم على حد الشفار وتعاهم الهمام في القفار يديرون رحى المنون بحركة العزايم ويشفون من خطب الجنون بخواتم العزايم ولما تستجبر ان تامر باسلام البلاد في ارجالك وانا لنعجب من استعجالك براي لم لم تحكم انجازه ولا حسن انتخابه واعجابك بصنع وافتتك فيه الاقدار واغتررت بنفسك اسوا اغترار قد اعد والك ولقومك جلاد ازلية الاتفاق وشفارا حدادا شحذة الاصفاق وقد ياتي المحبوب من المكروه والندم من عجلة الشهورة نبهت من غفلة طال زمانها وايقظت من نومة عاد ايمانها ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافك الاكرمين يد صاعدة او رفقة مساعدة الا ذل تعلم مقداره وتحقق ثاره والذي جرك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر

ظن العاقل تعقل والدول لا تنقل وكان بيننا وبينك من المسالمة ما اوجب القعود على نصرتهم وتدبير امورهم ونسال الله سبحانه المغفرة فيما اتيناه فى انفسنا وفيهم من ترك الحزم واسلامهم لاعاديهم فيهم وفي انفسنا من ترك الحزم والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك بما اطارت من دونه وبالله نستعين عليك ولا تستبطي مسيرتنا اليك والله ينصر دينه الكريم ولو كره الكافرون والسلام على من علم الحق فاتبعه واجتنب الباطل وخدعه وان المعتمد على الله ابن عباد كان قد اشار اليه خواصه بمصالحة الادفنش وعقد السلم معه على اداء مال معلوم عن كل حول فنكل عن ادائه لضعف بلاده وجلاء اهلها عنها فافترض على اهل اشبيلية فريضة افترض فيها اكثرهم وانجلا اخرون فوصل اليه رسول الادفنش ومعه اليهودي ابن شالب لقبض مال الجزية على عادتهم في كل سنة ونزلوا خارج اشبيلية فوجه اليهم المعتمد ابن عباد المال المعلوم مع بعض اشياخ اشبيلية منهم ابن زيدون وغيره فلما وصلوا الى خبائه واخرجوا اليه المال والسبائك فقال لهم اليهودي والله لا اخذت من هذا العيار ولا اخذت منه الا مشحرا ولا يوخذ منه في هذا العام الا اجفان البلاد . وزاد في كلامه ونقص واساء الادب المعتمد خبره فدعا بعبيده وبعض جنوده وامرهم بالخروج

لقتل اليهودي واسر من كان معه من النصارى ففعل ما امر به من ذلك فلما بلغ ذلك لادفنش اقسم بايمان مغلظة ان لا يرفع يده عنه وانه يحشد من الروم عدد شعر راسه ويحصل بهم بحر الزقاق فكان ذلك. وخرج الادفنش في جيش لا يحصى كثرة وافسد في الشرق فسادا كبيرا وحرقه واجتاز عليه فاصاد حصن طريف فوقف على شاطيء بحر الزقاق والموج يضرب ارساغ فرسه وخاطب الامير يوسف ابن تاشفين بما نصه : من امير الملتين الادفنش بن برهذه الى الامير يوسف بن تاشفين « اما بعد » فلا خفاء على ذي عينين انك امير المسلمين بل الملة المسلمة كما انا امير الملة النصرانية ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالاندلس من التخاذل والتواكل والاهمال للرعية والاخلاد الى الراحة وانا اسومهم الخسف فاخرب الديار واهتك الاستار واقتل الشبان واوسر الولدان ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم ان امكنتك فرصة هذا وانتم تعتقدون ان الله تبارك وتعلى فرض على كل واحد منكم بعشرة منا وان قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ونحن نعتقد ان الله ظفرنا بكم واعاننا عليكم ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون امتناعا وبلغنا عنك وانك في الاحتفال عن نية الاستقبال فلا يدرى اكان الجبن يفظي بك ام التكذيب بما انزل

عليك فان كنت لا تستطيع الجواز فابعث الي ما عندك من المراكب نجوز اليك اناظرك في احب البقاع اليك فان غلبتني فتلك نعمة جلبت اليك ونعمة شملت بين يديك وان غلبتك كانت لي اليد العليا واستكملت الامارة والله يتم الارادة . فامر امير المومنين يوسف بن تاشفين ان يكتب اليه على ظهر كتابه جوابا للادفنش ما ترى : لا ما تسمع ان شاء الله واردف الكتاب ببيت ابي الطيب المتنبي

ولا كتب الا المشرفية والقنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

وكان ابن عباد قبل هذا لما راى امره فى ادبار وان الادفنش قد عزم عليه وشاور خاصته ووجوه دولته في شان استدعاء يوسف بن تاشفين فاشاروا عليه بمدارات الادفنش والناس معه هدنة وعقد السلم على ما يذهب اليه من الشروط وتكييف ما امكن وان ذلك اولى من تجويز المرابطين . ثم انه خلا بعد ذلك بابنه وولي عهده الرشيد ابي الحسن عبيد الله وقال له انا في هذه الاندلس غريب بين بحر مظلم وعدو مجرم وليس لنا ولي ولا ناصر الا الله تعلى وان اخواننا وجيراننا ملوك الاندلس ليس فيهم نفع ولا يرجى منهم نصرة ولا حيلة ان نزل بنا مصاب او نالنا عدو ثقيل وهو اللعين ادفنش قد اخذ طليطلة من ابن ذي النون بعد سبع سنين وعادت دار كفر

وها هو قد رفع راسه الينا وان نزل علينا بطليطلة ما يرفع عنا حتى ياخذ اشبيلية ونرى من الراى ان نبعث الى هذه الصحراء وملك العدوة نستدعيه للجواز ليدفع عنا هذا الكلب اللعين اذ لا قدرة لنا على ذلك بانفسنا فقد تلف لجأؤنا وتدبرت بل تبردت اجنادنا وابغضتنا العامة والخاصة فقال له ابنه الرشيد يا ابت اتدخل علينا في اندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا فقال اي ابنى والله لا يسمع عني ابدا اني اعدت الاندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم علي اللعنة في منابر الاسلام مثل ما قامت على غيري في حرز الجبا والله عندي خير من حرز الخنازير فقال له يا ابتي افعل ما امرك الله فقال ان الله لم يلهمني لهذا الا وفيه خير وصلاح لنا ولكافة المسلمين فاستفتح بخطبته وجعل يستصرخه ويستدعيه بمكاتبات من انشائه وانشاء كتابه من خطه ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما الى حضرة الامام امير المومنين وناصر الدين محيي دعوة الخليفة الامام امير المومنين ابو يعقوب يوسف ابن تاشفين القائم بعظيم اكبارها الشاكر لاجلالها المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها اللائذ بحرامها المنقطع الى سمو مجدها المستجير بالله وبطولها محمد بن عباد سلام كريم يخص الحضرة

المعظمة السامية ورحمة الله تعلى وبركاته كتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية في غرة جمادى الاولى سنة تسع وسبعين واربعمائة وانه ايد الله امير المسلمين ونصر به الدين فانا نحن العرب في هذا الاندلس قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا وتغيرت انسابنا بقطع المادة عنا من منبعتنا فصرنا فيها شعوبا لا قبائل واشتاتا لا قرابة ولا عشائر فقل نصرنا وكثر شامتنا وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين ادفنش واناخ علينا بطليطلة ووطئها بقدمه واسر المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس ليس لاحد منا طاقة على نصرة جاره ولا اخيه ولو شاءوا افعلوا الا ان الهواء والماء منعهم عن ذلك وقد ساءت الاحوال وانقطعت الامال وانت ايدك الله سيد حمير ومليكها الاكبر واميرها وزعيمها نزعت بهمتي اليك واستنصرت بالله ثم بك واستغثت بحرمكم لتجوز لجهاد هذا العدو الكافر وتحيون شريعة الاسلام وتدينون على دين محمد عليه الصلاة والسلام ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم والاجر العظيم والسلام الكريم على حضرتكم السامية ورحمة الله تعلى وبركاته ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ومما كتب في استدعائه من انشاء طلبته وتنسب لابي بكر بن الجد الى الملك المؤيد بفضل

الله امير المسلمين وناصر الدين وزعيم المرابطين ابى يعقوب يوسف بن تاشفين نور الله به الافاق وجمل ببهائه الجيوش و لرفاق من الملك المفضل بنعمة الله المستجير برحمة الله المعتمد على الله محمد بن عباد سلام على حضرة تجدد ايمانها واشتهر امانها وبعد) فان الله سبحانه ايد دينه بالاتفاق والائتلاف وحرم مسالك الشتات ودواعى الاختلاف وامن على عباده بامن جديد وقوم اولي باس شديد وتطول علينا بعلوم جدك وقد جعلك رحمة تحي عينها ربوع الشريعة وخلفك سلما الى الخير وذريعة وقد طرا على الاسلام حادث انسى كل هم وهمت النكبات بوقوعه وذلك عدوا طغاه في البلاد شتات وبين اختلاف سببه من لم تطروا له في الدعوات غير تقوى وتضعف وتتقي وتختلف ولناخ مطمئنين من آفات الزمان وتناسخ الامان وقد جاءنا افرانه واوعاه ووعده وايعاده لسلم له المنابر والصوامع والمحاريب والجوامع ليقيم بها الصلبان ويستنيب بها الرهبان ومما اطمعه استمالته ايانا بالدعوة واملاؤها في الرحب والسعة الله استجير لما ابطنه واعجاما علينا وطنه وقد وطن الله لك ملكا شكره الله عليه جهادك وقيامك بحقه واجتهادك ولديك وليت بالخير باعث يبعثك لى نصر مناره واقتباس انواره وعندك من جنود الله من يشتري

الجنة بحياته ويحضر الحرب بثالاته فان شئت الدنيا فقطوف دانية وجنة عالية وعيون آنية والان ان اردت الاخرى بجهاد لا يفتر وجلاد يحيز الغلاصم ويستر هذه الجنة ذخرها الله اضلال سيوفكم واجمال معروفكم نستعين بالله وملائكته وبكم على الكافرين كما قال سبحانه وهو اكرم القائلين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها ونعمة الاسلام نشكرها ورحمة الله نتحدث بها وننشرها والسلام الموصل الجزيل على امير المسلمين وناصر الدين ورحمة لله ﴿ ولما ﴾ ترادف خطابه عليه ووقف على مقتضى ما كتب به وعما ذكر من معناه اطلع عليه اخوته وبنو عمه وقال لهم ما ترون فيما كتب به هذا لرجل وكان هؤلاء المرابطون قوما صحراويون ولم يعاينوا قط نصرانيا ولا شهدوا حربا لا ما يكون بينهم وكانوا يريدون ان يغزوا ويدخلوا الاندلس فلما استشارهم اماهم قالوا له ايد الله امير المسلمين اما ما ذكرتم من استغاثة هذا الرجل بكم فواجب على كل مسلم يومن بالله ورسوله اغاثة اخيه المسلم واحرى فانه لا يحل لنا ان يكون جاريا وبيننا وبينه سافية ماء فسقوه طعمة للعدو وهذا مما ترونه والامر لله ولامير المسلمين

وبعد ذلك خلا باحد كتابه وهو عبد الرحمن بن اسبط وكان
اندلسيا من اهل البرية واستشاره فقال له ان الامر لله تعلى ولكم
فقال له ومع هذا قل ما عندك فقال له واجب على كل مسلم اغاثة
اخيه المسلم والانتصار له غير ان لي كلاما انهيه اليكم فقال له قل ما
عندك يا عبد الرحمن فقال له ايد الله الامير تعمرون الثمن وسبعة
اثمان يعمرها النصارى وهي ضيقة عرجة حريجة سجن لمن دخلها
لا يخرج منها الا تحت حكم صاحبها وان انت جزت اليها وحصلت
فيها ما يكون لك في نفسك شيء وهو الرجل الذي استدعاك ما
بينك وبينه عتاب قديم ولا صداقة متصلة ويتقى اذا قضى الله
الغرض من العدو امسكك بها والحال كما ترونه والنظر اليكم فاكتبوا
اليه فانه لا يمكنك الجواز الا ان يعطيك الجزيرة الخضراء فتجعل
فيها اثقالك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت فقال له صدقت
يا عبد الرحمن لقد نبهتني على شيء لم يخطر ببالي اكتب له بذلك
فكتب له ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما من امير المؤمنين وناصر الدين معين
دعوة امير المؤمنين الى الامير الاكرم المؤيد بنصره لله تعلى المعتمد
على الله ابى القاسم محمد بن عباد ادام الله كرامته بتقواه ووفقه لما

يرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (اما بعد) فانه وصل خطابكم
الكريم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من
كربتك وما كان من قلة حماية جيرانك فنحن يمين لشمالك ومبادرون
لنصرتك وحمايتك وواجب علينا ذلك من الشرع وكتاب الله
تعلى وانه لا يمكننا الجواز الا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا
لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئنا فان رايت ذلك فاشهد
على نفسك بذلك وابعث الينا بعقودها ونحن في اثر خطابك ان شاء
الله . ولما ورد هذا الخطاب على ابن عباد قال له ابنه الرشيد يا ابت
الا تنظر الى ما طلب فقال له يا ابني قليل في حق نصرة المسلمين فجمع
ابن عباد القاضي والفقهاء وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء ليوسف
بن تاشفين وتسليمها له بمحضر ذلك الجمع وبعث بها اليه وكان ابنه
الراضي يزيد اذ ذاك صاحب الجزيرة فامر باخلائها والانتقال عنها
ولما وصله العقد والخطاب بالتاكيد في الجواز استنفر جميع حشوده
وبعث في البلاد الى جنوده ورحل الى سبتة فاقام بها واخذ في تجويز
عساكره حتى لم يبق منهم احد وجاز في اثرهم ودخل الجزيرة ولما
بلغ ابن عباد جوازه استعد للضيافة الحافلة والهدايا وقد كان يجمعها
ويحتفل فيها لما احتل يوسف بن تاشفين بالجزيرة شرع في بناء

اسوارها وما تشعث من ابراجها وحفر الحفير عليها وشحنها بالاطعمة
والاسلحة ورتب فيها عسكرا نقيا من نخبة رجاله واسكنهم بها ورحل
نحو اشبيلية فتلقاه ابن عباد على مرحلة من الجزيرة فسلم عليه وهمّ
ابن عباد بتقبيل يديه فبادر لمعانقته وساله عن حاله وانبسط معه في
الحديث وهناه ابن عباد بالسلامة ولحقت ضيافة ابن عباد فعمت
جميع المحلة على حال كبرها وركب ابن عباد فدار بالمحلة ونظر الى
العساكر فراى عسكرا نقيا ومنظرا بهيا فلم يشك ان ذلك الجمع لا
يخلو عن نصرة وان اللعين ادفنش لا محالة مهزوم فكان كما كان
فحمد الله واثنى عليه وسجد لله سجدة عفر وجهه في التراب تواضعا
لله سبحانه ونهضت العساكر نحو اشبيلية والهدايا المستظرفة والضيافة
الحافلة والعلوفات الرغدة حتى وصلوا الى اشبيلية فقاموا بها ثلاثة
ايام وارتحلوا الى بطليوس وقد كان يوسف بن تاشفين كتب الى سائر
الاندلس يستنفرهم الى الجهاد ويستدعيهم اللحاق بمحلته فلحق بها
الامير المظفر ابو محمد عبد الله بن بلقين من باديس صاحب غرناطة
وعماله واخوه المستنصر تميم صاحب مالقة وراجع صاحب المرية
المعتصم بالله ابو يحي محمد بن معز بن صمادح يعتذر بسبب العدو
الملاصق له بحصن لبيط من عمل الورقة ولحق بمن وصل من

الرؤساء والاجناد وخف من المطوعين للجهاد فلقيهم المتوكل الافطس
على ثلاثة مراحل من بطليوس واحتفل لهم بالتضييف والعلف
والقرى الواسع وقد كان بين يوسف ابن تاشفين امير المسلمين وبين
عدوه مخاطبات منها ان يوسف بن تاشفين لما دنا من بطليوس على
مقربة من فحص الزلاقة قدم اليه كتابا على مقتضى السنة يعرض
عليه الدخول في الاسلام او الجزية او القتال من فصوله : وقد بلغنا
يا ادفنش انك نحوت الى الاجتماع بك وتمنيت ان تكون لك فلك
تعبر البحر عليها الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا
وبينك وسترى عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال . فلما
وصل الكتاب الى ادفنش وسمع ما كتب به اليه جاش بحر غيظه
وزاد في طغيانه وكفره ابمثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابي نغرم
الجزية لاهل ملته منذ ثمانين سنة واقسم ان لا يبرح من مكانه الذي
نزل فيه وقال يزحف الي فاني اكره ان القاه قرب مدينة تعصمه
وتمنعني منه فلا اشفي نفسي بقتله ولا ابلغ املي فيه بيني وبينه هذا
البسيط المتسع . فاعلم السفير امير المسلمين بانتحائه وما اظهر من
طغيانه وكبريائه وقد كان قبل خروجه الى هذا اللقاء وهو بطليطلة
راى رؤيا وذلك انه كان يرى في النوم في بعض الليالي كانه راكب

على فيل والى جانبه طبل معلق وهو يضرب به فاستيقظ فزعا مرعوبا
مذعورا فلما اصبح بعث الى النصارى واحبار اليهود وقال لهم انى
رايت رؤيا افزعتنى وذكر لهم نصها وقال لهم وما هالنى وافزعنى الا
ان الفيل ليس فى بلادنا ولا عايناه قط ومن اين لنا به فانظروا فى
تاويل هذه الرؤيا فسروها لي فقد افزعتنى وما عاينت منها فقالوا له
القسيسون والاحبار ايها الملك تاول رؤيتك على انك تهزم جميع
المسلمين وتغنم اموالهم وتسبى محلتهم وتاخذ بلادهم وترجع الى وطنك
عزيزا ظافرا واما الفيل الذي كنت تركبه فهو هذا الملك القادم
صاحب البر الكبير المشترط للقبائل تركبه بالرغم وتذلله بمثل ذلك
الفيل لعظمه ولكون الفيل من الصحراء وهذا من الصحراء يعنون امير
المسلمين يوسف بن تاشفين مثل لك به فقال نفسي تحدثني وهي صادقة
انكم فى تفسيركم لمنامي على باطل وما تعرفون شيئا ثم رد راسه الى
جماعة المسلمين ممن حضر مجلسه من بقايا الساكنين ببلاده فقال لهم
اتعلمون هنا احدا من العلماء المسلمين فقالوا له نعم هنا رجل من فضلاء
المسلمين وعلمائهم يعرف بمحمد بن عيسى المغامى يقرا فى مسجده فقال
لهم انطلقوا اليه واتونى به فانطلقوا اليه وقالوا له ان الملك يدعوك فقال
لهم وما حاجته بى فقالوا له انه راى رؤيا افزعته وقد فسرها له اسقفة

النصارى واحبار اليهود فلم يرض بقولهم ولا صدقهم فقال لهم والله
لا اتى كافرا ابدا فقالوا له اتق الله على نفسك من سطوته فقال لهم
ان الله وليي وحافظي والخير والشر بيده فطمعوا به ليصل اليه فابى
ورجعوا الى ادفنش فقال لهم واين الرجل الذى توجهتم اليه فحسنوا
له اللفظ واعتذروا عنه وقالوا له ايها الملك ان الرجل عابد ورع ونحن
المسلمون عبادنا ما يرون فى دينهم ان يغشوا ابواب الملوك فان راى
الملك ان يلقي الينا من الكلام ما نأتيه من عنده بجواب شاف فعل
فقال كنت ارى كذا وكذا وقص عليهم رؤياه فانطلقوا الى الفقيه ابي
عبد الله المغامى فوجدوه يقرا بمسجده داخل طليطلة ومن بقى بها من
المسلمين فقصوا عليه الرؤيا وقالوا له دبرها فى نفسك حتى تلقي الينا
نصها نفسرها له فقال لهم الامر فيها قريب اعلموا انه سيهزمه
المسلمون هزيمة قبيحة يخرج منها مفلولا فى نفر يسير من اصحابه
والدليل على ذلك من كتاب الله العزيز فى قوله تعالى (الم تر كيف
فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم
طيرا ابابيل ترميهم بحجارة) عنى بها البارى جل وعز ابرهة الحبشي
واما الطبل الذى كان يضرب به فمن قوله تعالى (فاذا نقر فى الناقور فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) فرجعوا اليه واعلموه بنص

ما عبر لهم فقطب وجهه وقال ودين المسيح لئن كذب لامثلن به فبلغ الخبر للفقيه المغامي فقال والله ما يقدر على ذرة الا باذن الله وقضائه وانا واثق بالله ربي ولا قوة الا بالله العلي العظيم وان أدفنش لعنه الله نسي تلك الرؤيا واخذ في جمعه وحشده وتاهب للقاء المسلمين واحتفل في الاستعداد وخرج ومعه ثمانون الف فارس منها اربعون الفا لابسين الدروع وكان بها من فرسان المسلمين اربعة وعشرون الف فارس ما بين دراع وحاسر ومن المرابطين واهل المغرب ماينيف على اربعة وعشرين الفا . ولما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس واحتل الادفنش بفحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس قدم يوسف بن تاشفين بين يديه على مقتضى السنة والسلامة كتابا يعرض عليه فيه الدخول فى الاسلام او اداء الجزية او الحرب وقال بلغنا يا ادفنش انك دعوت الاجتماع بك وتمنيت ان تكون لك فلك تعبر البحر عليها الينا فقد اجزناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة ادعائك وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما صدم امير المومنين سمعه بما كتب اليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وكفره وقال بمثل هذه المخاطبة يخاطبنى وانا وابي نغرم الجزية لاهل ملته منذ

ثمانين سنة والله لا نهضت من مكانى فابزحف الي في هذا الفحص فانا اكره ان القاه قرب مدينة تعصمه او حصن يمنعني منه فلا اشف نفسي بقتله ولا ابلغ املي فيه فبيني وبينه البسيط المتسع (كما تقدم في نص هذا المكتوب) فاعلم السفير امير المسلمين بانتحائه وما ظهر من طغيانه وكبريائه ثم كتب الى امير المسلمين مكرا منه يقول ان غدا يوم الجمعة لانحب مقابلتكم فيه لانه عيدكم وبعده السبت يوم عيد اليهود وهم كثير في محلتنا وبعده الاحد عيدنا فنحترم هذه الاعياد ويكون للقاء يوم الاثنين فقال امير المسلمين اتركوا اللعين وما احب . حدث ابو محمد عبد العزيز ابن الامام احد خواص المعتمد ابن عباد قال كنت في عسكره عند توجهه مع يوسف بن تاشفين الى لقاء ادفنش بن فرلنده ملك قشتالة في غزوة الزلاقة وهي اول غزوة غزاها المرابطون بالاندلس وكان الناس يرحلون برحيل امير المسلمين يوسف بن تاشفين وينزلون بنزوله تقديما له ورعيا لمكانه من السن وعظيم الملك ووفور العدد وجودة الراي وكمال العقل فسمعنا طبوله تضرب وقيل امير المسلمين يتقدم الى العدو فامر ابن عباد منجمه بتحقيق طالع الوقت والنظر فيه قال فوجده بحسب ما تقتضيه اصول تلك الصناعة دالا على ان الدائرة تكون على المسلمين وان الظفر

والغلبة يكون للمشركين قال فاشفق المعتمد من ذلك وكره اعلام امير المسلمين به لنفاره من الاستدلال بالنجوم والتظاهر بها والعمل بها ولم يمكنه غير مساعدة الانتقال معه فبينما هو يحاول ذلك اذ خفقت الاصوات وهدات الضجة وجاء من اخبر ان امير المسلمين قد بدا له في الانتقال من مناخه فلما كان بعد ساعة من ذلك اليوم بعينه عادت الاصوات وضربت الطبول فامر ابن عباد منجمه باخذ طالع الوقت والنظر فيه فوجده اوفق طالع واسعد نصبة له وادلها على الظفر للمسلمين والدائرة على الكافرين حسبما جرى الامر عليه قال فتعجبت من ذلك ومن قوة سعد يوسف بن تاشفين وقال هذا من المصنوع لهم المعتنى بامرهم الملهمين الى رشدهم بالدين ليدبر لهم التوفيق ويخدمهم البخت وذلك كله بمشيئة الله تعالى وسابق علمه ونافذ حكمه وكتب اليه من منزله المذكور بهذه الابيات

غزو عليك مبارك ❊ في طيه الفتح القريب
لله سيفك انه ❊ سخط على دين الصليب
لابد من يوم يكون ❊ له اخ يوم القليب

فكانه نطق بالغيب فكانت الهزيمة على اللعين يوم الجمعة الثاني عشر

لرجب الفرد سنة تسع وتسعين واربعمائة فلما كان يوم الجمعة استعد اللعين للقاء المسلمين لياخذهم على حين غفلة غدرا منه وارتقى في ربوة مع جماعة من زعماء قومه ليبصر اعداد جيوشه فاعجبه ما راى من كثرتهم ولمعان دروعهم فقال لابن عمه غريسة هذا اليوم لنا فيه الغلبة على المسلمين فقال له غريسة ان كان سبق لك بذلك القضاء فقال انا الغالب سبق او لم يسبق فقال له ابن عمه اني لا احضر معك اليوم هذا اللقاء واعتزل بناسه وكانوا نحو الف فارس فعند ذلك تقدم بجيوشه قاصدا محلة المسلمين فاقبلت طلائع ابن عباد والروم في اذيالها والناس على طمانينة وقد كانوا اتفقوا ان يكون المعتمد ابن عباد في قلب المقدمة والمتوكل ابن الافطس في ميمنتها واهل الشرق في ميسرتها وسائر اهل الاندلس في الساقة والمرابطين واهل العدوة كماين متفرقة تخرج من كل جهة عند اللقاء فلما علم ابن عباد بقدوم الطاغية عليه بادر الركاب على غير تعبية ولا اهبة وغشيتهم خيل العدو كالسيل وعمتهم كقطع الليل وظنوا انها وهلة لا ترقع فوافق محلة ابن عباد في طريقه باهل اشبيلية وسائر عماله فوقعت بينهم حروب صعبة كانت الدائرة فيها على اهل اشبيلية استاثر الله فيها بارواح شهدت لها الرحمة وخطبتها الجنة وخرج ابن عباد منها بجراحه وابلى

في ذلك اليوم بلاء حسنا وانشد في ذلك اليوم شعرا قاله في أثناء
الحرب يذكر ابنه زيد الدولة المعلى ابا هاشم

ابا هاشم هشمتني الشفار * فلله صبري لذاك الاوار
ذكرت شخيصك ما بينها * فلم يثنني حبه للفرار

ثم العسكر من المسلمين لانفسهم وحملوا على ملة الادفنش حملة صادقة
وقد كان امير المؤمنين يوسف بن تاشفين على حين غفلة لم يكن عنده
علم بما وقع فكانت محلته بعيدة عن محلة ابن عباد حتى بعث اليه ابن
عباد كاتبه ابن القصيرة فاخبره فركب واحدق به زعماء لمتونة وكبار
صنهاجة وسائر عسكره قصد بهم محلة الطاغية فاقتحمها واضرمها نارا
وضرب طبوله فاهتزت لها الارض وتجاوبت الافاق فارتاعت قلوبهم
وتخاذلت افئدتهم وراوا النار تشعل في محلتهم واتاهم الصريخ بهلاك
اموالهم واخبيتهم فسقط في ايديهم فالتووا اعنتهم ورجعوا قاصدين
محلتهم فالتحمت الفئتان واختلط الملتقيان واشتدت الكرة وعظمت
الهجمات والحرب تدور على اللعين وتطحن رؤوس رجاله ومشاهير
ابطاله وتقذف بخيلهم عن يمينه وشماله وتداعى الاجناد والحشم
والعبيد للنزال والترحيل على ظهور الخيل ودخول المعترك فامن الله
المسلمين وقذف الرعب في قلوب المشركين وتحطوا بين عسكر ابن

عباد وعسكر يوسف ابن تاشفين وفي أثناء ذلك تلحق بالطاغية
ادفنش غلام اسود بيده خنجر يدعوه البرابر بالاطاس قطع جرز
درعه وطعنه في فخذه مع بداد سرجه فكان ادفنش يقول بعد ذلك
التحق بي غلام اسود فضربني في الفخذ بمنجل اراق دمي فتخيل له
الاطاس انه منجل لكونه رءاه معوجا فمر امامه وسيوف المسلمين
تتبعه حتى القوه الى ربوة اعتصموا بها لتعذر مرتقاها واحدقت بها
الخيل فقال لهم امير المسلمين يوسف بن تاشفين الكلب اذا ان وهمّ
لا بد ان يعض وقد سلم الله المسلمين من معركته ولم يقتل منهم الا
القليل فان هجمت على هؤلاء ابلوا بلاء عظيما ولكن اتركوهم ولاحظوا
حالهم فلما جن الليل فروا واصبحوا يوم السبت فلم يوجد لهم اثر ثم
اتى امير المسلمين عنانه فنزل ونزل الناس بنزوله وقد باء الله بصارمه
تلك الشوكة واستاصل اولائك الجموع المشركة ولم يفلت منهم اكثر
من اصحاب عويسة الذى اعتزل عن القتال وهم نحو اربعمائة افلتوا مع
الطاغية وكانت هذه الغزوة التي اظهر الله فيها دين الاسلام
ونصر حزبه ونفس عنه كربه ولم يكن في الاندلس
غزوة اعظم منها قتل فيها من النصارى نحو ثلاثمائة الف قال الفقيه
ابو يحي بن اليسع ذكر جماعة ممن حضرها انه وجد فيها اقوام من

الروم عليهم دروع محصنة قطعت السيوف اوساطها مع الجثة قال وانتدب المسلمون في موضع المعركه الى قطع رؤوس النصارى فجمع منهم اعداد واكداس كالصوامع الحنفية ونظروا طول قناة كانت في المحلة فنصبت ورست الرؤوس حواليها فغطتها فامر الفقيه ابو مروان المذري وكان ممن شهد تلك الواقعة وممن له ملابسة بتلك الامور ان عدد الرؤوس التي جمعت بين يدى ابن عباد بلغت الى اربعة وعشرين الف راس . ولما فرغ الناس من هذا الفتح تناول ابن عباد ظفارة كاغد على عرض الاصبع وكتب فيها سطرين الى ابنه الرشيد وفقه الله : اعلم انه التقت جموع المسلمين بالطاغية ادفنش اللعين ففتح الله للمسلمين وهزم على ايديهم المشركين والحمد لله رب العالمين فاعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين والسلام . وكان عند الزوال من يوم الجمعة وعلق الظفار من جناح حمام كان احتمله معه لهذا الحال فكان الناس باشبيلية اقنط ما كان في ذلك اليوم فوصل الحمام من يومه وقرات على الناس بمسجد اشبيلية فعم السرور وكثر الدعاء ثم بعد ذلك وردت الكتب فشرح مجمع هذا الفتح الجليل ثم كتب المعتمد ابن عباد والمتوكل ابن الافطس والمظفر عبد الله بن بلقين وكل من شهد الحرب من الملوك الى

الافاق مبشرين بما شفى الله به الصدور واذهب غيظ القلوب وملمين بما افاء الله عليهم من اقبالهم وكان مما كتب به المعتمد بن عباد الى حاضرة اشبيلية وسائر اعماله من انشاء الكاتب ابي عبد الله ابن عبد البر النمري ومن فصوله لما كان يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسعة وتسعين واربعمائة سنى الله امرا يسر اسبابه وفتح لنا الى الفرج والفتوح بابه وعطف علينا القابل للثواب الغافر للذنب والتقينا مع الطاغية الباغية الذي اجاب الموت داعيه واخزى التوفيق مساعيه بعد غدر ابداه وجرى فيه مداه وكان تواعدنا معه للتلتقي في سواه فاتى وانقض يجرر ذيل فخاره والغيب يشهد عليه بما ارداه والقدر يعلمنا انه طعمة من نواه فاستبشرنا انه ابتدا بالغدر الذي يرديه وتعجل سلوك طريق لا تهديه وتحققنا انها مقدمة فتح سبقت ونوامس سعد عبقت والنصر لا تخفى دلائله واليمن لا تستره غلائله ففرح اخواننا المسلمون بالاتصاف وتصافحوا بالاعتراف والانصاف وجرت البسائط ذيول الزرود وشككت الشفار فمل الصقيل للفرند ولما احلولك ليل الحرب واغطش وغار ماء تبلجها فاعطش طلع فجر السعادة فانبجح واذا من كتب السلامة اصبح الصبح وعن قريب طلعت شمسها تشرق وتهلك الكافرين وتحرق

ليس دونها حجاب يستر شعاعها ويحجب لماعها ولما تسامت الرؤوس
واحدق الرئيس بالمرؤوس ظللنا نترك العمائم وكانها من اعجب الاحلام
نائم وللماصمد الموذنون اكراما فتنها ابد الابد من هاماتهم وحصدتها
بواتر قضتها بلاماتهم اعلنوا بكلمة الاخلاص فوق اذان وعت ما كانت
عنه صمت وادمعت انزلت القدم على ما كانت به همت وقرت العين
وانشرحت الصدور وانشرقت الارض كلها بهذا النور وهذا وفقكم الله
فتح الفتوح انذار بين يرى نحواه بنصر يعجز فيه الحصر وقد كان في
اول اللقاء جولة على المسلمين فضل الله فيها بالشهادة لمن اهتم باسانيها
ثم انزل سكينته فخطبت نصال المسلمين رقاب الكافرين فانكحتها
ابكارا صانتها حجال المغافر وحجبتها ستور الطوارق عن عيون المواتر
ولا مهر الا ما نووه من كرم نفوس جرت متطوعة وحشت الى
الخيرات مستمعة فنفلهم الله انفالهم ووعدهم النصر فاوفى لهم فتلقوا
رحمكم الله هذه النعم بالشكر كما تلقينا وقولوا الحمد لله رب العالمين
على نعم اصبحنا فيها وامسينا والله يوصلها بالتاييد ويشفعها بالتوفيق
والتسديد والسلام . ولما قضى الله بهذا الفتح الجليل والصنع الجميل
قام المسلمون في جمع اسلابهم وضم عددهم مدة ايام فامتلات ايديهم
بالغنايم الوافرة والسبي الكثير واكتسبت الناس فيها من الات

الحروب والاموال وسيوف الحلى ومناطق الذهب والفضة ما اغناهم
وكان يوم لم يسمع بمثله من اليرموك والقادسية فياله من فتح ما كان
اعظمه ويوم كبير ما كان اكرمه فيوم الزلاقة ثبتت قدم الدين بعد
زلاقها وعادت ظلمة الحق الى اشراقها نفست مخنق الجزيرة بعض
التنفس واعتز بها رءوس الانداس فجزى الله امير المسلمين
وناصر الدين ابي يعقوب ابن تاشفين افضل جزاء المسلمين بما بل
من ارماق ونفس من خناق ووصل لنصر هذه الجزيرة من حبل
وتجسم الى تلبية دعائها واستبقاء دمائها من حزن وسهل حتى هزموا
على يده المشركون وظهر امر الله وهم كارهون قال محمد بن الخلف
ولما فرغ من واقعة الزلاقة وانصرف اهل الاندلس الا بلادهم ورد
عليه خطب اوجعه ونبا افجعه بموت ابنه ابي بكر فعجل ايابه الى
العدوة وقد انقضى في عدوه وطره هذا هو تلخيص الخبر عن جوازه
الاول الى الاندلس (الجواز الثاني) كان سنة احدى وثمانين
واربعمائة سببه حدث الوزير ابو بكر بن عقاب قال لما كان بعد الزلاقة
بسنتين وفدت على امير المسلمين يوسف بن تاشفين بحاضرة مراكش
جملة من الاندلس من اهل بلنسية ومرسية ولورقة وسبتة فشكوا
له ما حل باهل بلنسية من اهل الكبيطور وكان من ملوك الروم

حاصر بلنيسة سبع سنين حتى دخلها وشكوا له ما حل باهل مرسيه
واعمال لورقة وبسطة من شان لبيط وهو حصن حصين على راس
جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم تملكه العدو وكانت سراياه
تسير مشرقا ومغربا اذ كان في موسطة بلاد المسلمين فلم يزل وجوه
الاندلس من تلك البلاد يترددون اليه بالشكوى حتى وعد بالجواز
اليهم اذا تمكن الفصل ثم ان ابن عباد تحرك من اشبيلية فى خاصته
وعبر البحر الى يوسف بن تاشفين فتلقاه بالدخلة على وادي سبوا
فتلقاه بوجه طلق وصدر رحب واكرام جم وقال له ما السبب الذي
دعاك الى الجواز الينا وهلا كتبت فقال له جئتك احتسابا واجتهادا
واعتصاما للدين وقد اجرى الله الخير على يدك وخطك مما جئت به
الا وفر وقد اشتد ضرر النصارى على حصن لبيط وعظم اذاه للمسلمين
لتوسطه في بلادهم ولا جهاد اعظم منه اجرا ولا اثقل في الميزان
وزنا فتلقى امير المسلمين مقصده بالقبول ووعده بالحركة والجواز
فاستحثه واستوثق منه وصار الى حاضرة اشبيلية وتقدم الى كل طبقة
من اهل مملكته بالاستعداد واكثر من اعمال السهام والبطارد وعمل
الرعادات وغير ذلك من الالات ولما رتب اشغاله ومهد احواله
وكمل من ذلك ما حوى له اتصل به قدوم امير المسلمين وجاز البحر

واستقر بالجزيرة الخضراء فتلقاه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من
المكرامات والمبراة وانفذ امير المسلمين كتابه لملوك الاندلس
يستدعيهم للجهاد معه والموعد حصن لبيط فاجتاز على مالقة واستنفر
صاحبها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس وتلاحق به المظفر
عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة والمعتصم بن صمادح من المرية
وتوافى رؤساء الاندلس من شقورة وبسطة وجيان ومن كل مكان
ولما جاءهم من مرسية النجارون والبناءون والحدادون واضطربت
المحلة محدقة بحصن لبيط وكان بداخله من الروم الف فارس واثنى
عشر الف راجل واتصلت السابلة وكثر الوارد واتصلت الحروب
على الحصن ليلا ونهارا وكل امير من امراء الاندلس يقاتل في يومه
بخيله ورجله مداولة بينهم وتمادى ذلك اشهر واجتمع المعتمد بن عباد
ويوسف ابن تاشفين وظهر لهما من حصانته ومنعته واستعصاء نقبه
ما ايئسهم عنه وانه لو كان دون سور لكان شفا جرف عاصما لمن فيه
وانه لا يتأتى لهم اخذه الا بالمطاولة وقطع مادة القوم عنهم وكان من
جملة من وصل من رؤساء الاندلس ابن رشيق صاحب مرسية
الثائر بها على المعتمد ابن عباد فشكى ابن عباد بابن رشيق لامير
المسلمين وذكر اعتداءه عليه وانه دفع جبايتها مصانعة للطاغية اذفنش

فحضر ابن رشيق واستفتى يوسف بن تاشفين في امرهما الفقهاء فوجب الحكم على ابن رشيق فامر يوسف ابن تاشفين بالقبض عليه واسلامه في يد ابن عباد ونهاه عن قتله فثقفه ابن عباد فهرب الى اللاجين اصحاب ابن رشيق وقرابته وجميع محلته الى مرسية وانتزلوا بها ومنعوا الميرة عن المحلة فاختلفت امورها ووقع الغلاء بها وارتفع السعر فيها فضاقت بالناس الاحوال وفي اثناء ذلك استصرخ اهل الحصن سلطانهم فاخذ في الحشد وعم الحصن في امم لا تحصى فاقتضى راي يوسف بن تاشفين التوسعة عن الحصن والتاهب لقائه فتاخر بمحلته الى تورباسة وهو موضع الماء والتمر وظهر له ان الادفنش اذا وصل فغايته تخليص قومه واخلاء الحصن ونزول ضرره وان الصواب خلاء الطريق له ولما وصله اللامين وجد قوما جبانا لا يقدرون على امساك الحصن فاحرقه واخرج من فيه من قومه وجرد يوسف من عسكره جيشا ينيف على اربعة الاف فارس بعثه الى بلنسية واردف بعده عسكرا عظيما قدم عليه محمد بن تاشفين الى جهة بلنسية وانصرف من هنالك الى العدوة فتحرك الجميع بحركته وعادوا الى بلادهم وهذا تلخيص خبر جوازه الثاني الى الاندلس

﴿الجواز الثالث﴾

كان جوازه الثالث في سنة ثلاث وثمانين واربعمائة سببه انه لما كان

على حصن ليط نقل اليه على ملوك الاندلس كلام لا احفظه واوغر صدره عليهم وهو الذي ازعجه الى العدوة ولما تبين لهم تغييره عليهم واعراضه عنهم نظر كل واحد منهم لنفسه بغاية جرمه فاول من شهر ذلك وتظاهر به وجد فيه المظفر عبد الله بن بلقين ابن باديس واتصلت انباؤه بيوسف بن تاشفين فاشتد غضبه واستزاد حرجه عليه ولما احتل بالجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد فتلقاه بعادته من التعظيم واحتفل في التضييف والتكريم وتوالت عليه الاخبار من الامير عبد الله بن بلقين بما يغيضه ويحقده فاستنزل من مالقة اخاه المستنصر تميم بن بلقين وتوجه الى غرناطه فلقيه المظفر عبد الله بن بلقين خارج الحاضرة فسلم عليه وترجل اليه ودخل معه البلد فسلم اليه الامر وقام ينظر في توطئة البلاد وتمهيد الامور واحتاطه واخاه المستنصر تميما الى العدوة واسكنهما باغمات وقد استوفى الكلام في هذا الامير عبد الله بن بلقين في الكتاب الذي الفه في دولة قومه وكان المعتمد بن عباد والمتوكل ابن الافطس قد قدما عليه بغرناطة يهنيانه بما تهيأ له من ملك غرناطة ومالقه فلم يقبل عليهما وانصرفا عنه الى بلادهما وادرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين الى الاندلس وقال لخليفته المتوكل ابن الافطس والله لا بد له ان يسقينا

من الكاس التي اسقى بها عبد الله بن بلقين ولما عاد ابن عباد الى اشبيلية اخذ في بناء الاسوار وعمل القنطرة فقال ابنه ابو الحسن عبد الله الرشيد الم اقل لك يا ابت يخرجنا هذا الصحراوي من بلادنا ان انت اوردته علينا قال يا بني لا ينجي حذر من قدر ولما كان في سنة اربعة وثمانين واربعمائة تحرك يوسف بن تاشفين الى سبتة لجواز عساكره اللمتونية الى الاندلس لمنازلة ملوك الطوائف وحصارهم في بلادهم وفي اثناء مقامه بها امر ببناء المسجد الجامع بسبتة والزيادة فيه فزاد فيه حتى اشرف على البحر وبنى البلاط الاعظم منه وامر ببناء سور الميناء السفلى وشرع في جوازهم فقدم ابن عمه الامير سيدي ابن ابي بكر على عسكر وامره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية واوعد اليه انه اذا قضى من شانه فيتقدم لبلاد المتوكل ابن الافطس وقدم ابا عبد الله بن الحاج على عسكر ثاني وامره بمنازلة الفتح الملقب بالمامون ولد المعتمد بن عباد بقرطبة وقدم ابا زكرياء بن واسنوا على عسكر ثالث وامره بمحاصرة المعتصم محمد بن معز بن صمادح بالمرية وقدم جرور الحبشي على عسكر رابع وامره بمنازلة يزيد الراضي ولد المعتمد بن عباد بن ندة فجوز العساكر وانصرف كل فريق الى حيث امره واقام هو بسبتة مترقبا لانبائهم متشوفا لما يحدث عنهم وكان منهم

بالاندلس ما هو مشهور الاستيلاء على بلادهم والغلبة على مملكتهم ليس هذا موضع التقصي لاخباره لما قصد من ايجاز القول واختصاره ولم يبق بالاندلس ولاية الا بني هود فان المستغني بالله ابا جعفر احمد ابن المؤتمن بالله ابي الحجاج يوسف ابن المقتدر بالله ابي جعفر بن المستعين بالله سليمان بن محمد ابن هود الجرامي اقام ببلاده بشرق الاندلس وحصنها وملك رعيته نخاف امره ولم تدخل عليهم بسببهم داخلة وكان مع ذلك يهادي امير المسلمين ويكاتبه وقال له في مكاتبته نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل اليكم ضرر ومطاعين تطوف وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا منابها الى ما نعينكم به من نفيس الذخر . ووجه اليه ابنه عماد الدولة ابا مروان عبد الملك فاجابه يوسف ابن تاشفين الى ما اراد ومما جاوبه به ما نصه من امير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين الى المستعين بالله احمد بن هود ادام الله تاييده من حاضرة مراكش حيث تتلى اية شرفك ومآثر سلفك ونحن نحمد الله بجميع المحامد ونستهديه احسن الموارد ونسئله اتم الفوائد وانجح المقاصد ونصلي على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صفوة اوليائه وخاتم انبيائه واما الذي عندنا ايدك الله لجنابك الكريم ومجدك الصميم ومحلك

المعلوم فود صريح وعقد في ذات الله تعلى صحيح ووردنا نشاة السيادة
والنبل والنباهة والفضل ابو مروان عبد الملك ابنك ولادة وتنسبا
وابننا ودادا وتقربا زاد الله به عينك قرة ونفسك مسرة ومعه
خاصتك الوزيران ابو الاصبغ وابو عامر اكرمهما الله بتقواه وكلا
وفيناه حق نصابه واتينا بره من بابه وادينا اليك كتابك الجليل
الخطير المقبول المبرور فوقفنا منه على وجه شخوصهما واصغينا في
تفصيل جملة الى تخليصهما فالقينا لهما مراجعة في ذلك ما لقنوه وسفرنا
لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه وجملته الوفاق وجماعة الانتظام
في سلك ما يرضي الله تعلى والاتساق ان شاء الله تعلى والسلام فاقام
ابن هود رخي البال يهدد النصارى بالمسلمين ويهدد المسلمين بكونه
حائلا بينهم وبين بلاد لافرنج والاردمانيين وقد كان الافرنج قبل
ذلك باعوام قريبة العهد خرجوا من الارض الكبيرة الى الاندلس
في جموع كثيرة ليس لها حد ولا يحصى لها عدد الا الله انتشروا
على ثغور سرقسطة واثخنوا وقتلوا وسبوا وتغلبوا على مدينة برشيتر
عنوة وقتلوا فيها نحو اربعين الفا ما بين فارس وراجل واسروا
النساء والاولاد فاسترجعها من ايديهم ابن هود ودخلها عليهم عنوة
يذكر انه تالف عنده في استفتاحها ستة الاف من الرماة الفسي

المقارة فدخلها عنوة ولم ينج منهم الا اليسير (قال البراكي) دخل
منها سرقسطة نحو خمسة الاف سفينة والف درع فشاع لابن هود
بهذا الفتح الذي اتفق على يده صيت بعيد وكان بيد المستعين يومئذ
بلاد الثغر الاعلى كلها سرقسطة وطليطلة وقلعة ايوب ودروقة ووشقة
وبربشتر ولاردة وافراغة وبلفى ومدينة سالم ووادي الحجاره الى
ذلك كله وكان يتحف امير المسلمين يوسف بن تاشفين ويهاديه مما
يحل بيده من نفيس الذخائر واليواقيت والجواهر اتصل اليه ذلك
من الشام وذلك ان الشام كانت بها مجاعة كثيرة وكانت بلاد ابن هود
بشرق الاندلس كثيرة الخصب فكان يبعث للشام اجفانا مشحونة
بالزرع فتعود اليه بكل ذخيرة وتحفة خطيرة فتحصل عنده من
ذلك ما لم يكن عند غيره من ملوك الاندلس وهذا هو تلخيص
الخبر في الجواز الثالث الى الاندلس بحول الله وقوته

الجواز الرابع

كان جوازه الرابع اليها سنة ست وتسعين واربعمائة سببه برسم
التجول عليها والنظر في مصالحها وكان معه ابنه بل ابناؤه الاميران
ابو الطاهر تميم وابو الحسن علي وكان ابو الحسن علي اصغر سنا فقال فيه
احد الشعراء الاندلسيين كلاما نبه فيه على مجده وشرفه فقال في ذلك

وان كان في الانسان يحسب ثانيا * علي وفي العلياء يحسب اولا
كذلكم الايدي سواء بنانها * وتختص في هن الخناصر بالحلا

ولما جال في بلادها وتطوف على اقطارها شبهها بعقاب راسه طليطلة ومنقاره قلعة رباح وصدره جيان ومخالبه غرناطة وجناحه الايمن بلاد الغرب وجناحه الايسر بلاد الشرق وبيان كيفية وضعها وتمثيلها في الصفرة يبدوا بيان هذا التشبيه الذي هو راجع الى سياسة امرها واعتبار اموالها ولما كان في سنة خمس وتسعين واربعمائة ولي عهده الامير ابى الحسن وكتب عنه ولاية العهد لابنه المذكور الوزير الفقيه ابو محمد بن عبد الغفور وكان رحمه الله علم بلاغة به يهدى . وامام شرف قدمه العلم والندى . وعاصم مجد هو الغاية والهدى . ونص العهد: الحمد لله الذي رحم عباده بالاستخلاف وجعل الامامة سبب الايتلاف وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي الف القلوب المتنافرة واذل لتواضعه عزة الملوك الجبابرة (اما بعد) فان امير المسلمين وناصر الدين ابا يعقوب يوسف بن تاشفين لما استرعاه الله على كثير من عباده المومنين خاف ان يسئله الله غدا عما استرعاه كيف تركهم هملا لم يستنب فيه سواه وقد امر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة وجعلها من اكد الاشياء

الكريمة كيف في هذه الامور العائدة بمصلحة الخاصة والجمهور وان امير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفة وخصه الله بها من النظر في هذه الامور الدينية الشريفة قد اعز الله رماحه واحد سلاحه فوجد ابنه الامير الاجل ابا الحسن اكثرها ارتياحا الى المعالي واهتزازا واكرمها سجية وانفسها اعتزازا فاستنابه فيما استرعى ودعاه لما كان اليه دعي بعد استشارة اهل الراي على القرب والناي فرضوه لما رضيه واصطفوه لما اصطفاه وراوه اهلا ان يسترعى في ما استرعاه فاحضره مشترطا عليه الشروط الجامعة بينها وبين المشروط فقبل ورضي واجاب حين دعى بعد استخارة الله الذى بيده الخيرة والاستعانة بحول الله الذى من آمن به شكره وبعد ذلك مواعظ ووصية بالغت من النصيحة مرامى قصية يقول في خاتمة شروطها وتوثيق ربوطها كتب شهادته على النائب والمستنيب من رضى امامتهما على البعيد والقريب وعلم علما يقينا بما وصاه في هذا الترتيب وذلك في عام خمسة وتسعين واربعمائة وكان من الشروط في تقديمه للعهد التى اشترطها عليه ابوه تركب سبعة عشر الف فارس بالاندلس موزعة على انظار معلومة يكون منها باشبيلية سبعة آلاف فارس وبقرطبة الف فارس وبغرناطة الف فارس وفي المشرق اربعة الاف فارس وباقي العدد

على ثغور المسلمين للذب والمرابطة في الحصون المصاينة للعدو وفي جوازه هذا اعمل سيره على مدينة اليسانة وهي مدينة مانعة . سورها من اعظم الاسوار انفرد بسكناها اليهود كان سبب اجتيازه عليها ان رجلا من فقهاء قرطبة وجد مجلدا من تاليف ابن حسرة الجبلي القرطبي اخرج فيه حديثا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود الزمت نفسها انها اذا جاءت الخمس مائة عام من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجئهم شيء منهم على ما زعموا فان الاسلام لازم لهم لانهم وجدوا في التوراة قول الله تعلى لموسى عليه السلام ان النبي الرسول الذي معناه محمد لابد من ظهور الحق على يده ونوره متصل باتصال الساعة فزعمت اليهود انه منهم وانه لم يجيء الى راس الخمس مائة عام والا فهو هذا فرفع هذا الفقيه القرطبي الامر الى امير المسلمين فاجتاز على مدينتهم ليرى ما يصنع فيهم فيذكر انه استخلص منهم جملة مال بسبب ذلك وان القاضي ابا عبد الله محمد ابن علي بن احمد بن التغلبي اجرى مسألتهم معه على وجه تركهم . ففعل ومما ينظر الى قريب من هذا المعنى ما حكي عن احد عمال البحرين انه لما وليها جمع اليهود في سائر عمله فقال لهم ما تقولونُ في عيسى ابن مريم فقالوا قتلناه وصلبناه قال فاديتم ديته قلوا لا والله فقال لا

والله لا تخرجون حتى تؤدوا ديته فاغرمهم عشرة آلاف دينار وهذا الذي بلغنا من خبرهم واقتضاء امرهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

﴿ سيرة امير المسلمين يوسف ابن تاشفين ﴾

كان رجلا فاضلا خيرا زكيا فطينا حاذقا لبيبا عاطردا ياكل من عمل يده عزيز النفس ينيب الى خير وصلاح كثير الخوف من الله عز وجل اكبر عقابه الاعتقال الطويل وكان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الامور اليهم وياخذ فيها برايهم ويقضي على نفسه بفتياهم اقامت بلاد الاندلس فى مدته سعيدة حميدة في رفاهية عيش وعلى احسن حال لم تزل موفورة محفوظة الى حين وفاته رحمه الله وقد كان الجهاد انقطع بها منذ تسع وسبعين سنة من مدة آل عامر الى حين دخوله اليها قدم اشياخ المرابطين فيها وكانوا اقواما ربتهم الصحراء نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة ولا مخالطة الاسافل (قال ابن اليسع) وكان ترتيبهم في الاندلس انهم لم يزيدوا فارسا على خمسة دنانير للشهر شيئا مع نفقته وعلف فرسه فمن ظهرت نجدته واعانته وشجاعته اكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده وتركوا الثغور المواجهة لبلاد العدو في حكم الاندلسيين لكونهم اخبر باحوالها

وادرى بلقاء العدو وشن الغارات ولم يمكنوا من ولايتها احدا سواهم مع الاحسان اليهم وكانوا متى ما وصلتهم خيل من العدو بعثوا بها الى اهل الثغور فلما قربت وفاته اوصى ابنه ولي العهد بعده ابا الحسن علي بثلاثة وصايا احدها . الا يهيج اهل جبل درر ومن ورائه من المصامدة واهل القبلة . الثانية ان يهادن بني هود وان يتركهم حائلا بينه وبين الروم . الثالثة ان يقبل من احسن من قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم وقد مات في شهر ربيع الاخر سنة خمسمائة ودفن بقصره بحاضرة مراكش وحضر موته ابناؤه الامير ابو الطاهر تميم وابو الحسن علي مع من حضر من عترته الصنهاجيه واسرته اللمتونية قبض وهو على اوله في العزم والجد في نصر الدين واظهار الكلمة وعضد الاسلام رحمة الله عليه (قال محمد) بن الخلف في البيان الواضح ومما سلى النفوس كل التسلية واطفا نار الرزية ما كان من نظره الجيل ورايه الاصيل من تواليج الامر في حياته لابنه الامير ابي الحسن ذي العقل الرصين والراي الحسن قدس الله روحهما وبرد ضريحهما وهنا انتهى جوازه الرابع الى جهة من الاختصار لسفره والالماع بنبذة من خبره واعود الى التعريف بذكر ولده وولي عهده وما جرى من الحوادث من بعده ومساق

طرف من مراكش واخبارها ومدة حصارها ان شاء الله

امير المسلمين علي بن يوسف

كنيته ابو الحسن ابن تاشفين الوالي بعده ابو بكر ويدعى ببكور كان ذا حدة ونجدة سجنه ابوه مكبولا بالجزيرة الخضراء الى ان مات ولد له وهو ابن ستة عشر سنة ابو حفص عمر الكبير تميم الذي ثار على ابن اخيه ابراهيم وهو اصغرهم سنا امه رومية تسمى فاض الحسن . ووزرؤه اولا ابن عمر ثم بعد ذلك في اخر مدته استوزر اسحاق بن نتيان بن عمر بن نيتان ولما بلغ سنه ثمانية عشر سنة وكان يتوقد ذكاء ونبلا وفهما فاعجب به اعجابا كثيرا وجعل له النظر في المظالم والشكايات فانتفع به الناس في امورهم وكافة شؤنهم وكان في طبعه ومولده مثل كاهن يات بعجائب الاخبار ولما ولي علي بن يوسف بعد ابيه اضطلع بالامور احسن الاضطلاع وقام احمد قيام وكان يقصد مقاصد العز في طرق المعالي ويحب الاشراف ويقلد العلماء ويؤثر الفضلاء كثير الصدقة عظيم البر جزيل الصلة . البسه الله المهابة . وقذف له في القلوب المحبة . فاجتمعت عليه الامة . واتفقت الكلمة . وبايعه اخوه الامير ابو الطاهر تميم وكان اكبر سنا منه وهو اول من استعمل الروم بالمغرب واركبهم وقدمهم على جبايه

المغارم وكان ذكيا فقيها مكرما لاهل العلم مقلدا لامور الفقهاء وغزا بنفسه لبلاد الروم نخلا بسببه كثيرا من احواز طليطلة وحاصر مدينة طلبيرة وجاز الى الاندلس في مدته ومدة ابيه فانه جاز اليها في خلافته اربع مرات

الجواز الاول

كان جوازه اول سنة خمسمائة لما ولي الامر بعد ابيه لتفقد احوالها وسد خللها فاحتل بالجزيرة الخضراء وبادر اليها قضاة الاندلس وفقهاوها ورؤساؤها وزعماؤها وادباوها وشعراوها فاجزل لهم العطاء وقضى لكل ارب اربه

الجواز الثاني

سنة ثلاث وخمسمائة برسم الجهاد ونصر الملة واعزاز الكلمة فقصد طليطلة ونزل على بابها وجاز المينة المشهورة بخارجها وانتشرت جيوشه على تلك الاقطار ودوخ البلاد بلاد المشركين بالفرار الى المعاقل واعتصموا بالحصون المنيعة ونزل على طلبيرة وافتتحها عنوة ولم يعهد مثل هذه العدوة قوة وظهورا وعدة ووفورا

الجواز الثالث

سنة احدى عشر وخمسمائة افتتح فيها مدينة قلمريت ودوخ بلاد

الشرك بجيوش لا تحصى وكان اثره بها عظيما

الجواز الرابع

سنة خمسة عشر وخمسمائة للحادث الواقع بقرطبة وذلك ان اهل قرطبة كان قدم عليها الامير ابي يحيى بن روادة فحدث بينه وبين اهالها ما اوجب قيامهم عليه وحدثت بين اهلها وبين من كان فيها من المرابطين فتنة كثيرة ونهبوا ديارهم وقصورهم فبلغ ذلك على بن يونس فجند الجنود وحشد صنهاجة وزناتة والمصامدة واخلاط البربر وجاز الى الاندلس في عسكر لم يجتمع مثله للمرابطين قبله فاحتل بخارج قرطبة فغلقوا ابوابها ودربوا مواضع من حاراتهم واستعدوا لقتاله واستفتوا علماءهم فافتوهم انه متى عرض الحق وبين له السبب فيما جرى بين المرابطين واهل قرطبة وانه لم يكن بداءة منهم وانما كان ذبا عن الحرم والدماء والاموال والبادي اظلم فان تمادى على نصر هواه واتباع اغرض المفسدين وجب القتال على الحرم والدفع عن الحوزة حتى يراجع الله به ولما طال مقامه عليها تردد اليه وجوه قرطبة واعيانها وذكروه بوصية ابيه امير المسلمين ان يقبل من احسن من اهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم فوقع الاتفاق على ان يؤدوا له مالا عوضا مما نهب للمرابطين فرضي ورضوا وبينما هو

في ذلك اذ بلغه المهدي بالسوس الاقصى فعاد الى العدوة حسبما يأتي ذكره بعد هذا ان شاء الله وفي سنة اثنى عشر وخمسمائة وصله كتاب من الخليفة العباسي ببغداد . ونصه من عبد الله ابى العباس المستظهر بالله امير المومنين الى زعيم الدولة العباسية وزعيم شيوخها المغربية علي بن تاشفين احسن الله توفيقه (اما بعد) فالحمد لله مقدم على كل مقال وتال كل فعال وهو ذو المن والافضال الكبير المتعال وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المؤيد بالتنزيل الذي كشف عن الامة الغمة واستنقذ من الضلالة الامة حمى به المحارم ما كان مباحا واقتدح من القلوب زنادا اورى بعد ما كان شحاحا والبس الدين بعد ما كان بالعراء من البسيطة جناحا وعلى ازواجه وذريته ما عقب مساء صباحا وخص العباس بن المطلب عم النبوة ووارث الخلافة وشقيق الابوة الميمون الطاهر الفاخر الاوائل والاواخر بالصلاة المستهلة العهاد المتصلة الامداد ومواهب الله على امير المسلمين حبايس ومنائحه لديه كوامل نفائس وجناب الاسلام مربع ورباع الحق وسيع ورياض العدل اريضة وعيون الحق عريضة ونظره للرعايا على ما يقتضيه قصدها ومرادها ويفل عنهم شبا الايام اذا رهف جبها والنصر لرايته الف والظفر بجيوشه خاف

واعداؤه للسيوف حصائد والحتوف طرائد وشكره لله تعالى على ما اولاه شكر مؤذن بالمزيد وشاهد بصنع لا يبيد وعرض بحضرة امير المؤمنين كتابه الموضح لاختلاي السريرة المطبوعة بطبائع الدين المعربة عن تمسكك بطاعته بحبل الله المتين الهاطلة سحائبها من سماء سيرتك المضيئة مصابيحها من اخلاص طريقتك واما ما نهيته من توفر الاجناد ومثابرتك على الجهاد لرفع ادناس الكفرة مما يليك من البلاد فانك وطائفتك من حزب الله وحزب الله هم الغالبون فاتخذ التقوى عمادك والحق منارك وكتاب الله وسنة رسوله شعارك وتجرد عن الدفاع عن الاسلام والمسلمين وحط من صعادك في نحور اعداء الله الكافرين واعلي بالدعاء اللامير على ذواب المنابر تكن الظافر باعداء الظاهر والسلام عليك وعلى من قبلك من اهل الطاعة سلام يهديهم الى المقام المحمود ويكنفهم بظل الرحمة الممدود ورحمة الله وبركاته . والمكتوب عنه هذا الكتاب هو الخليفة الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس وهو ابو العباس احمد المستظهر بالله بن عبد الله المقتدي بامر الله ابن الذخيرة محمد ابن القائم بامر الله ابن القادر بالله ولي الخلافة بعد ابيه وبويع له « بسر من راء » وفي خلافته استحوذ الروم على بيت المقدس وبعض بلاد الشام وفي سنة تسع عشرة وخمسمائة جاز القاضي ابو الوليد بن

وشد الى مراكش فتلقاه امير المسلمين علي بن يوسف بالمبرة والكرامة وبين له القاضي امر الاندلس وما اصيبت به من النصارى المعاهدين بها وما جروه اليها وجنوه عليها من استدعاء ابن ردمير وتقويته على المسلمين وامداده وما في ذلك من نقض العهد والخروج عن الذمة فالقي نظره بالقبول وافتاه بتغريبهم واجلائهم عن اوطانهم وهو اخف ما يؤخذ به في عقابهم ونفذ عهده الى جميع بلاد الاندلس بازعاج المعاهدين الى ناحية مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدوة انكرتهم الاهواء واكلتهم الطرق وفي هذه السنة سنة تسع عشرة وخمسمائة خرج الطاغية بن ردمير الى بلاد المسلمين بلاد الاندلس فتحركت له ريح الظهور وذلك ان النصارى المعاهدين بكورة غرناطة وغيرها خاطبوه من تلك الاقطار وتوالت عليه كتبهم وتواترت رسلهم ملحة في الاستدعاء مطمعة بدخول غرناطة وانه لما ابطا عنهم وجهوا اليه تفسيرا يشتمل على اثنى عشر الفا من انجاد مقاتلتهم واخبروه مع هذا ان من سموه هو ممن شهدت اعينهم لقرب مواضعهم وان بالبعد منهم من يخفى اثره ويظهر عند وروده عليهم سخطه فاستثاروا طمعه وابتغوا جشمه واستفزوه باوصاف غرناطة وما لها من الفضل عن سائر البلاد وكثرة فوائدها من القمح والشعير

والكتان وكثرة المرافق والحرير والكروم والزيتون وانواع الفواكه وضروب المرافق وكثرة العيون والانهار ومنعة قصبتها وانطباع رعيتها وتاثر اهل حاضرتها المباركة التي يملك منها غيرها وانها بسنام الاندلس عند الملوك في تواريخها فتمموا حتى اصابوا عزمة فانتخب واحتشد وتهيا في اربعة الاف فارس اختارها من بلاد رغونة بتوابعهم وتعاقدوا وتحالفوا بالانجيل انه لا يفر احد منهم عن صاحبه نخرج على سرقسطة في منسلخ شعبان من هذه السنة واجتاز على بلنسية بها الشيخ ابو محمد يدر بن ورقاء بجماعة من المرابطين واقام بها يقاتلها مدة وفي اثناء ذلك وصله عدد وافر من النصارى المعاهدين يكثرون سواده ويدلون على الطريق وينبهون على المراشد التي تضر المسلمين وتنفعه واجتاز على جزيرة شقر فقاتلها اياما خسر فيها ولم يربح ثم رحل منها الى دانية وقاتلها ليلة عيد الفطر من هذه السنة وشق بلاد المشرق مرحلة مرحلة ومنزلة منزلة وشن الغارة على كل قصر مر به واجتاز على فج شاطبة حتى اتى مرسية ثم اجتاز بالمنصورة ثم صعد الى برشانة ثم تلوم بواد تاجلة ثمانية ايام ثم تحرك الى مدينة بسطة فلحقه الطمع فيها لكونها في بسيط من الارض واكثر حاراتها غير مسورة فلم يمنه الله عليها ثم توجه الى وادي آش في يوم الجمعة

اول ذي القعدة وقاتل المدينة من جهة المقابر الى يوم الاثنين واقلع الى السند في يوم الثلاثاء وفيه كمن الكمائن ثم اقلع من السند يوم الاربعاء ونزل بقرية غيانة وقاتلها من غربها اقام عليها نحو شهر (قال) مصنف كتاب الانوار الجلية فبذا نجيت النصارى المعاهدون بغرناطة في استدعائه فافتضح تدبيرهم في اجتلائه وهم اميرها بثقافهم فاعياه ذلك وجعلوا يتسللون الى محلته على كل طريق وكان يومئذ على الاندلس ابو الطاهر تميم بن يوسف وحاضرة سكناه قاعدة غرناطة فاحدقت به جيوش المسلمين وامده اخوه امير المسلمين من العدوة بجيش وافر وصارت الجيوش كالدائرة على غرناطة وهي في وسطها كالنقطة وتحرك ابن ردمير من وادي آش فنزل بقرية دجمة وصلى الناس بغرناطة صلاة الخوف يوم عيد النحر من هذه السنة في الاسلحة والاهبة ولم يصل ابن ردمير الى غرناطة حتى كان معه خمسون الفا ثم نزل بواد فردش في يوم عيد الاضحى واقلع منها الى المرزوقة ومنها نزل على غرناطة ونزل بقرية النبيل واقام بمحلته بضع عشرة ليلة لم تسرح له سارحة بتوالي الامطار وكثرة الجليد الا ان المعاهدة كانت تجلب اليه الاقوات فاقلع وقد ارتفع طمعه عن المدينة فرحل على قرية مرسانة الى بينش ومنها الى السكة حيث لحق

احواز القلعة الى لك وبيانة واسجة ثم نكب على قرية والسيانة وجيوش المسلمين في اذياله تكاثفه في اثناء ذلك مناوشة وظهورا عليه وتبعه الامير ابو الطاهر الى ان اجتمعا بقرية اليسانة بالرينسون فطمعوا فيه وانتدبوا لقتاله اول النهار وكبسوه واخذوا له جملة من الاخبية ولما كان وقت الظهر تورع وتفيء بناسه للقتال وعقد عليهم اربعة الوية وصاروا فرقا اربعة وحملوا على المسلمين بعد فشلهم وافتراقهم وسوء الراي في نزلهم وحكم الله باحكامه فكانت الوقيعة الشنيعة على المسلمين واستولى على محلاتهم وانتقل منها الى جهة الساحل فشق الاقاليم وجاز على واد متربيل المظل الحافات المحصن المجاز ويقال لما اجتاز به قال بلغته لاحد زعمائه اي قبر هذا لو القينا من يرد علينا التراب ثم عرج يمينه حتى انتهى الى بحريش وانشا بها جفنا صغيرا صيد به له الحوت كانه نذر وفى به او اثرا لمن يخلفه بعده ثم عاد الى غرناطه فاضطربت بها محلته بقرية دلر ثم انتقل الى قرية همدانى وكان بينه وبين عساكر المسلمين مواقف عظيمة ثم انتقل بعد يومين الى المرج فنزل بعين اطسة وهو في نهاية من كمال العبية واخذ الحذر بحيث لا تصاب فيه فرصه ثم تحرك على « البراحلات » ومنها الى الافوز ومنها الى الوادي

ءاش وقد اصيب كثير من خاصته وطوى المراحل الى الشرق فاجتاز على مرسية الى جوفي شاطبه والعساكر في كل ذلك تطؤ اذياله والتناوش يتخطربه والوبا يسرع به حتى وصل الى بلاده وهو يفخر بما ناله في سفره من هزيمة المسلمين وفتكه في بلادهم وكثرة ما اسر وغنم مع انه لم يفتح مكانا سورا صغيرا ولا كبيرا الا انه اجلى ديار بادية الاندلس وعفا ءاثارها وكان مقامه في بلاد الاندلس صادرا وواردا سنة كاملة وثلاثة اشهر ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم النصارى المعاهدين ما انجلت عنه هذه القصة اخذهم الارجاف وتوغرت لهم الصدور وتوجه الى مكانهم الحرم فاحتسب القاضي ابو الوليد بن رشد الاجر وتجشم المجاز ولحق بعلي بن يوسف ابن تاشفين بحاضرة مراكش فبين له الامر بالاندلس وما منيت به النصارى المعاهدين وما جنوه عليها من استدعاء الروم وما في ذلك من نقض العهد والخروج عن الذمة وافتى بتغريبهم واجلائهم عن اوطانهم فاخذ بقوله ونفذ بذلك عهوده وازعج الى العدوة منهم عدد جم ويرجع الحديث الى جهة مراكش وان امير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين شرع في جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة تسوير حاضرة مراكش وبنا جامعها ومنارها وجمع الصناع

والفعلة على ذلك فجاء كل ما صنع من اوابد الدنيا ابتناها في مدة من ثمانية اشهر على عظمها ودورانها يذكر انه انفق في السور وحده سبعين الف دينار من الذهب وكان الذي اشار عليه بتسوير مراكش القاضي ابا الوليد بن رشد حين ظهور المهدي عليه ببلاد المغرب وسبب تسويرها انه لما ظهر المهدي استفتى فقهاء العدوة والاندلس في امره ومنهم القاضي ابو الوليد بن رشد في بناء سور على موضعه ومنزله فافتوه بالتحفض على نفسه وعلى الساكنين معه وكان توجه القاضي ابو الوليد بن رشد اليه لمراكش في غرضين احدهما اخراج النصارى المعاهدين عن الاندلس بسبب ما صدر عنهم من الاعانه لابن ردمير واستدعائه حسبما تقدم قبل هذا والاخرى في عزل اخيه الامير ابى الطاهر تميم على الاندلس وتقديم غيره ولما كان امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بالعدوة في حاضرة مراكش اشار عليه اهل دولته ان يطلب ملك بني هود بشرق الاندلس قالوا له الشرع يدعوك ان تسعى في اخذ تلك البلاد منه لكونهم مسالمين الروم فاخذ برايهم ووجه اليهم الامير ابن تيفويت بعسكر من المرابطين ولما سمع بقدومه تحصن ببلاده وكتب اليه كتابا بعثه اليه لمراكش . من فصوله وقد كان المستعين بالله خاطب اباك امير

المسلمين يوسف بن تاشفين فساله الدعوة ويرغب في العدو والاستعانة على العدو فاقام واقمنا معه مريحين ومن تعب النفاق فرحين فنعمنا بنور الهداية الساطع الاشراق واغتنمنا الدعوة في هذه الافاق ثم دهمنا من جهتكم داهم ابدا صفحته ونسيم بل عاصف امدى الينا نفحته ولا يمكننا تسليم ايدينا اليكم يتحكم فينا الاذلان ويتمكن في محالنا الاستنقاص بالحقوز والاختلال ولم تتقدم منا اليكم ساءة جهرة بالقول ولا امرت ولا اجات بجنابكم لا غزو ولا ضرر بل تفيض عليكم استمالتنا وتستعطفكم في كل حال مقالتنا وقد كان لكم فيما فعله ابوكم امير المسلمين اسوة حسنة وايام كانت بيننا وبينه مستحسنة فان يكن الله اراد امرا انفذه في خلقه فلا راد لمشيئته ولا حايد عن بليته وسيعلم مبرور هذا الراى عندكم سوء مغبته وعظيم هيئته في الفساد ورتبته والله حسيب من بغى وابتدا بالتضريب بيننا وابتغى وحسبنا الله وكفى والسلام . ولما وصل كتاب عماد الدولة ابي مروان عبد الملك بن هود وقف عليه امير المسلمين علي بن يوسف خاطبه الامير ابوبكر بن تيفلويت يامره بالكف عن بلاده فوافاه الكتاب وقد ادخلت الرعية مدينة سرقسطة في خبر يطول شرحه وقد كان المهدي ظهر عليه في سنة

اربع عشرة وخمسمائة وكان ابتداء ظهوره بمراكش وذلك انه وصل من المشرق الى مراكش على حسب ما يجلبه القصص في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله (قال ابن بحير) فدخل ابو عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي المسجد الجامع بمراكش يوم جمعة وركع في الصف الاول بمقربة من المنبر فقال له بعض سدنة الجامع هذا موضع امير المسلمين فقال ان المساجد لله وقرا الاية فلما جاء امير المسلمين علي بن يوسف ليقعد في موضعه قام اليه من حضر هنالك وبقي المهدي لم يقم فلما قضيت الصلاة بادر المهدي بالسلام عليه وقال له في جملة كلامه غير المنكر ببلادك لانك انت المسئول عن رعيتك فلم يجبه امير المسلمين علي بن يوسف ولما دخل الى قصره وجه اليه ان كانت لك حاجة فتقضى فقال ليس لي حاجة وما قصدي الا تغيير المنكرات فعند ذلك امر الفقهاء بان يتكلموا معه ويختبروا حاله وما عنده من العلم وكان في جملتهم ابو عبد الله مالك بن وهيب الاندلسي فتكلم معهم في امور كثيرة وناظرهم في مسائل علمية ولما عادوا الى امير المسلمين سألهم عما خبروه من حاله فقالوا له يا امير المسلمين ذلك رجل يفتن الناس والصواب امساكه ويحال بينه وبين الناس وقال له مالك بن وهيب ابقى الله لك هذا الرجل اجعله في

الامام ابى حامد الغزالي وقد كان كتابه الذي سماه احياء العلوم وصل الى المغرب والاندلس وان فقهاء قرطبة تكلموا فيه وانكروا فيه اشياء قال ابن القطان ولاسيما ابن حمدين فانه بالغ فى ذلك حتى كفر جميع من قرأه وعمل به واغرى به السلطان واستشهد بالفقهاء فاجمعوا على حرقه فاخذ علي بن يوسف بفتياهم وامر بحرقه واحرق بقرطبة وكتب الى سائر بلاده يامر باحراقه وتوالى الاحراق على ما ظهر منه ببلاد المغرب في ذلك الوقت فيذكر ان حرقه كان سببا لزوال ملكهم وانتثار سلكهم (حكى) ابن صاحب الصلاة عن عبد الله بن عبد الرحمن العراقي شيخ مسن من سكان فاس قال كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الامام ابى حامد الغزالي فجاءه رجل كث اللحية على راسه كرزي «عمامة» صوف فدخل المدرسة واقبل على الشيخ ابى حامد فسلم عليه فقال ممن الرجل فقال من اهل المغرب الاقصى قال دخلت قرطبة قال نعم قال كيف فقهاؤها قال بخير قال هل بلغهم كتاب الاحياء قال نعم قال فماذا قالوا فيه فصمت الرجل حياء فعزم عليه ليقولن ما طرا فاخبره باحراقه وبالقصة كما جرت قال فتغير وجهه ومد يده الى الدعاء والطلبة يؤمنون فقال اللهم مزق ملكهم كما مزقوه واذهب دولتهم كما احرقوه فقال ابو عبد الله بن تومرت السوسي

الملقب بالمهدي ايها الامام ادع الله ان يجعل ذلك على يدي فتغافل عنه فلما كان بعد ايام اتى الحلقة شيخ اخر على شكل الاول فساله الشيخ ابو حامد فاخبره بصحة الخبر المتقدم فدعى بمثل دعائه الاول فقال له المهدى على يدي ان شاء الله فقال اللهم اجعله على يدك فقبل الله دعاءه وخرج ابو عبد الله بن تومرت من بغداد وصار الى المغرب وقد علم ان دعوة الشيخ لا ترد فكان من امره ما ياتى ذكره ان شاء الله . ولما وصل المهدية غير بها المنكر فرفع امره الى العزيز بن الناصر فهم ان ياخذه فهرب الي بجاية فبلغ خبره لابن حماد صاحبها فاختفى وخرج منها الى رباط ملالة وكان اذ ذاك عبد المومن بن علي قد توجه به عمه وهو فتى جميل الوجه رايع الجمال يؤم بلاد المشرق وكان قصده ان يعلمه العلم فقصد به الى المهدي وجلس معه فساله عن اسمه فقال له عبد المومن بن علي وساله عن بلاده فقال له من قطر تلمسان فقال تكون تاجرا قال نعم وانا اريد الرحلة في طلب العلم لبلاد المشرق فقال له المهدي العلم الذي تطلبه بالمشرق قد وجدته بالمغرب الى ان قرا عليه المهدي كتابا يقول فيه لا يقوم الامر الذي فيه حياة الدين الا بعبد المومن سراج الموحدين فبقى معه يقرا عليه برباط ملالة الى ان خرجا عنها الى وانشريس

فصحبه منها ابو محمد البشير وانتقلوا الى مدينة فاس ثم خرجوا منها الى حاضرة مراكش وانصرف منها الى هرغة بلدة من السوس حسبما تقدم ذكره ولما كان بالسوس الاقصى وقد تبعه كثير من البرابر وذلك في شهر رمضان المعظم سنة خمسة عشر وخمسمائة قام فيها خطيبا. وقال: الحمد لله الفعال لما يريد القاضي بما يشاؤه لا راد لامره ولا معقب لحكمه وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشر بالامام المهدي الذى يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يبعثه الله الى نسخ الباطل بالحق وان يلي مكان الجور العدل والمغرب الاقصى منبته وزمانه اخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل قال الامام ابو يحي ابن اليسع سمعت الخليفة عبد المومن يقول لما فرغ الامام المهدي من كلامه هذا بادر اليه عشرة رجال من اتباعه والملازمين له كنت انا واحدا منهم فقالا له يا سيدى هذه الصفة لا توجد الا فيك فانت هو المهدي فبايعناه في اثناء ذلك على ما بايع الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكونوا يدا واحدة على القتال والدفاع فبايعوه اصحابه العشرة تحت شجرة خروب وتتابع البرابر بعد ذلك عليه بالمبايعة على ان يقاتلوا عنه ويبذلوا انفسهم دونه فمر فهم عاقبة ذلك من الارزاء والمحن والقتل والفتن فالتزموا ذلك. واصحابه العشرة هم

عبد المومن بن علي وعمر بن علي ازناق واسماعيل بن مخلوف وابو ابراهيم واسماعيل ابن موسى وابو يحيى ابو بكر بن تنجيت وابو عبد الله بن سليمان عبد الله بن ملويات وابو حفص بن عمر الهنتاتى وابو محمد عبد الله البشير وسمى اصحابه اثر بيعته بالمهدية وتابعهم على هذا المتضد باثرهم خمسون رجلا فسموا اهل الخمسين ثم تابعهم سبعين رجلا فسموا اهل سبعين واختص المذكورون بهذا الاختصاص وانعقد لهم من البر والتكرمة ما انهضهم وكان يعقد الامور العظام مع اصحابه العشرة لا يحضر غيرهم فاذا جاء امر اعوز احضر الخمسين فاذا جاء دون ذلك احضر معهم السبعين وبايعه اهل هرغة وتينمال وهنتاتة وجرميوت وهسكورة وصنهاجة وبايعوه على ما امرهم به والتزموا نصره. واعلن لهم بحرب لمتونة واخذ اشياعه يتاهبون للحروب وجعل على كل عشرة منهم نقيبا وصنفهم اصنافا فالصنف الاول اصحاب العشرة المتقدم ذكرهم والصنف الثانى اهل الخمسين والصنف الثالث اهل السبعين والصنف الرابع الطلبة والصنف الخامس الحفظ وهم صغار الطلبة والصنف السادس اهل الدار والصنف السابع اهل هرغة والصنف الثامن اهل تينمال والنصف التاسع اهل جرميوت والصنف العاشر اهل جنفسة والصنف الحادي

عشر اهل هنتاتة والصنف الثاني عشر الجند والصنف الثالث عشر الغزاة والرماة ولكل صنف من هذه الاصناف رتبة لا يتعداها غيرهم لا في سفر ولا في حضر لا ينزل كل صنف الا في موضعه لا يتعداه فانضبط مراده وقاموا على ذلك مدة حياته واول ما دبر به امرهم انه الف لهم كتابا سماه بالتوحيد بلسان البربرية وهو سبعة احزاب عدد ايام الجمعة وامرهم بقراءة حزب واحد منه كل يوم اثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حزب القرءان وهو يحتوى على معرفة الله تعلى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والايمان بما يجب لله تعلى ويستحيل عليه وما يجب على المسلم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وءاخى بينهم فيه والف لهم كتابا سماه بالقواعد وءاخر سماه بالامامة هما موجودان بايدي الناس لهذا العهد دونهما بالعربي والبربرى وكان افصح الناس في اللسان العربي والبربري ينزل اليهم المواعظ والامثال ويقرب لهم المقاصد فجذب نفوسهم واستجاب قلوبهم وسهل عليهم التعليم بنفسه وباعيان اصحابه وان امير المسلمين علي بن يوسف لما لم يقدر على القبض عليه جهز جيشا لمحاربته قدم عليه والي السوس ابا بكر اللمتوني فلما قرب منه لم يقدر على اللقاء لكثرة من تبعه من الامم فاردف عليه بعد ذلك عسكرا ثانيا اكبر

منه قدم عليه الامير اخاه ابا اسحاق ابراهيم فلما بلغوا معهم عاين الحشم منها ما بهرهم فانهزموا امامهم دون قتال وفقد من الجيش عدد وافر واستولى على محاتهم. قال ابن بحير ولما سمع علي بن يوسف لهزيمة ومخالفة هنتاتة عليه واتباعهم اغتنم لذلك وجهز عسكرا عظيما قدم عليه سير اللمتوني ابن مردلي فهزموه وقتلوا كثيرا ممن كان معه ولما كان بعد هذه الهزيمة سال المهدي اصحابه عن لمتونة ما يقولون عنا وقالوا له لقبونا بالخوارج فقال لهم لقبوهم انتم بالمجسمين وكتب لهم المهدي رسالة بخطه ومن انشائه ونصها : الى القوم الذين استزلهم الشيطان وغضب عليهم الرحمن الفئة الباغية والشرذمة الطاغية لمتونة (اما بعد) قد امرناكم بما نامر به انفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته وان الدنيا مخلوقة للفناء والجنة لمن اتقى والعذاب لمن عصى وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فان اديتموها كنتم في عافية والا فنستعين بالله على قتالكم حتى نمحوا ءاثاركم ونكدر دياركم ويرجع العامر خاليا والجديد باليا وكتابنا هذا اليكم اعذارا وانذارا وقد اعذر من انذر والسلام عليكم سلام السنة لا سلام الرضى قال ولم يزل امير المسلمين علي بن يوسف يوالي الحروب على اصحاب المهدي من كل جانب ويبعث لمحاربتهم الجيوش والكتائب ويامرهم بملازمة السكنة

حيث كانت لهم الطاعة من اهل الجبال ويقيمون المدة الطويلة في
الحرب معهم والقتال وينفق عليهم بيوت الاموال رجاء في دفع دائهم
العضال فدامت اكثر مدته في حروب معهم وكروب وحيثما وجه
عسكرا عاد مفلولا ودخل قلوب اجناده الذعر وخامرهم الفزع
والرعب . قال عبد الله ابن احمد الزهري حضرت بمراكش وقد احتفل
امير المسلمين علي بن يوسف في تجهيز عسكر الى الجبل الذي كان
فيه الموحدون , وقدم عليه اخاه الامير الاجل ابا الطاهر تميم فخرج
بعسكر كبير وعند ما صعد به في مضايق الجبال وشواهق تلك
الاوعار مدت عليه افواه تلك الجبال وادبروا ليلا منهزمين دون
قتال وترامو بخيلهم وبأنفسهم ودخل فلهم مع الامير ابي الطاهر
مهزوما وكانت هذه الهزيمة بمقربة من كيك « جبل » فاستمرت عليهم
وجد الموحدون في اتباع اثرهم الى ان وصلوا الى مقربة من جبل
وريكة بقبلي اغمات فخرج اليهم عسكر لمتونة مع بطي اللمتوني
وخلق كثير من اهل اغمات وغيرهم وان المهدي توجه الى تينمال لما
راى من منعتها وحسن موضعها فقسم ارضها وديارها على اصحابه في
خبر يطول شرحه وادار على المدينة سورا احاط بوهداتها وبنا على
راس الجبل سورا وافرد في قمته حصنا يكشف على ما وراء الجبل

ولا يعلم مدينة احصن من تينمال لا يدخلها الفارس الا من شرقها
او من غربها . فاما غربها وهو الطريق اليها من مراكش بطريق
اوسع ما فيه ان يمشي عليه الفارس وحده موسعا واضيقه ان ينزل
على فرسه خوفا من سقوطه وذلك شرقيها الا ان الطريق مصنوعة
في نفس الجبل تحت راكبها حافات وفوقه حافات وفيها مواضع
مصنوعة بالخشب اذا ازيلت منها خشبة لم يمر عليها احد ومسافتها
على هذه الصفة نحو مسيرة يوم وهذا الجبل جبل درن يبلغ مداده
اخذ من البحر الاقصى الى قريب من تلمسان مسيرة خمسين يوما
وتتصل به من جهة تلمسان جبال اخرى تنقطع عند قابس عند الحامة
بها وهي مسيرة شهرين . ولما استقر المهدي والموحدون بتينمال كان
بمراكش رجل من اهل الاندلس يعرف بالفلكي الاندلسي وكان
فاتكا شهما قاطع سبيل فعفى عنه امير المسلمين علي بن يوسف وسد
ثغور مراكش فاول ما صنع له حصونا ضبط بها انقاب جبل درن
الذي يتوقع بسببها الخوف من نزولهم الى البسايط فمنعهم من
الهبوط عليها

ذكر حصار المهدي لمراكش

ولما فشت دعوة المهدي واتصلت طاعته وكثر اتباعه وتكررت

هزائمه للمرابطين المرة بعد المرة خاطب جميع الموحدين برسالة بخط يده يستدعيهم للوصول اليه ويامرهم بالقدوم عليه لتينمال فوصلوا في غاية الاستعداد وقوة الامداد تجمع عنده منهم نحو اربعين الفا فيهم الفرسان والغالب منهم الرجال وقدم عليهم الشيخ ابو محمد البشير احد العشرة من اصحابه ولم يسافر معهم اذ كان قد اصابه مرض ونزلوا من الجبل يريدون حاضرة مراكش فخرج اليهم المرابطون في ازيد من مائة فارس ما بين فارس وراجل فهزمهم الموحدون ودخل المدينة على اسوء حالة رمات منهم بالسيف وبالازدحام على الابواب خلق كثير وحصروا مراكش مدة من اربعين يوما فتوالت الحروب واشتعلت نارها كل يوم في قتال وهزائم واعراس للطيور وولائم وكان جملة من انحصر بها من الفرسان نحو من اربعين الفا ومن الرجال ما لا يحصى عدده الا خالقه وفي خلال الحصار كان رجل من رؤساء الثغور بالاندلس يعرف بعبد الله بن همشك صنو الرئيس أبي اسحاق بمراكش مع اهل البلد وهي محصورة في مائة فارس من اصحابه الاندلس فقال يوم له امير المسلمين علي بن يوسف ما نحن نعين الا بالمقام تحت الحصار فضحك امير المسلمين من قوله وحمله على السلامة وقال له ابو محمد يحسب ان قتال المصامدة

مثل قتال الروم فقال له يا امير المسلمين قد كان عندي ببلاد الاندلس جماعة منهم وتعلم خفتهم وشجاعتهم للقتال ولكن المقام هكذا ليس بصواب والغزات كثيرا عندكم يعني الرمات فان كنتم تنظرون غير هؤلاء فالكل غير نافع اذ تنظر بعضهم بعضا وانما يصنع ذلك مع القلة واما الكثرة فلا ولكن اعرفوا من الله ومن الحضرة ان تامروني بجمع ثلاثمائة فارس واخرج بهم فاذن له في ذلك وخرج ابن همشك بمن تجمع له من اصحابه من الاندلس لقتال الموحدين فتشوف على احوالهم وكيفية قتالهم فراى لهم عوالى كثيرة الطول فعند ذلك اشار على اصحابه ان تقصروا رماحهم وان يردوها من ستة اذرع وبرز اليهم اول النهار فما انتصف حتى ادخل البلد منهم نحو ثلاثمائة راس ولما دخل بالرءوس نشط الناس بمراكش وسروا بذلك فامر في الحين امير المسلمين علي بن يوسف بخروج عسكر وقدم عليه الشيخ ابو محمد بن وانودين فالتقوا القاء ثبت الله فيه اقدام المرابطين وهزم الموحدين وسائر المصامدة وقتل منهم في ذلك اليوم ازيد من اربعين الفا ولم يسلم منهم الا نحو اربعمائة ما بين فارس وراجل وقتل المقدم على العسكر من الموحدين وهو الشيخ ابو محمد البشير احد العشرة من اصحاب المهدي وكان لعبد المومن بن علي في ذلك

اليوم ظهور ذب فيه على المهزومين وحمى حوزة المفلولين واتبعهم المرابطين من حاضرة مراكش الى اغمات فامعنوا القتل منهم ولم ينج منهم الا اليسير ولما وصل القتل الى المهدي وفيهم اربعة من اصحابه وعبد المومن معهم وجدوه بتينمال مريضا فقال لهم اسلم عبد المومن قالوا نعم قال منذ عاش عبد المومن بقي . ذكر ذلك ابن صاحب الصلاة وذكر انه كان لطائفة المهدي من الموحدين على المرابطين في الحروب التي كانت بينهم نحو اربعين هزيمة حتى كانت هذه عليهم قتلوا فيها اجمعين ولم ينج منهم الا نفر يسير غزا المهدي منها بنفسه اربع غزوات فتح الله فيها عليه وعلى الموحدين الذين كانوا معه ولم يزل يرجع الى مستقره بتينمال ظاهرا ظافرا من غزوه وبعد ذلك اشتد المرض بالمهدي خرج من داره ليودع الناس وجمع الناس ليسمعوا كلامه ويباشروا وداعه فقال لهم ان صاحبكم راحل عنكم فبكى الناس وودعوه ثم دخل الى داره واتصل به المرض الى ان توفي يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من عام اربعة وعشرين وخمسمائة كانت مدته من اول مبايعته الى حين وفاته ثمان سنين وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوما ولما توفي كتم اصحابه وفاته ولم يعلم بذلك احد قال كاتب هذا واورد هنا شيئا من كلامه مما اثبته في

بعض تواليفه الصادرة عنه فمن ذلك قوله : اعلم ارشدنا الله واياك انه وجب على كل مكلف ان يعلم ان الله عز وجل واحد في ملكه خالق العالم باسره العلوي والسفلي والعرش والكرسي والسموات والارض وما فيهما وما بينهما جميع الخلائق مقهورون بقدرته لا تتحرك ذرة الا باذنه ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك حي قيوم لا تاخذه سنة ولا نوم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا فعال لما يريد قادر على ما يشاء له الملك والغنى وله العزة والبقاء وله الحكم والقضاء وله الاسماء الحسنى لا دافع لما قضى ولا مانع لما اعطى يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ليس عليه حق ولا عليه حكم فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون . موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا امام ولا خلف ولا كل ولا بعض لا يقال متى كان ولا اين كان ولا كيف كان كان ولا مكان كون المكان ودبر الزمان لا يتقيد بالزمان ولا

يتخصص بالمكان لا يلحقه وهم ولا يكيفه عقل لا يتحصل في الذهن ولا يتمثل فى النفس ولا يتصور في الوهم ولا يتكيف في العقل لا تلحقه الاوهام والافكار ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ومن دعائه الذي كان يدعو به : اللهم اعنا على طاعتك واتم علينا نعمتك وزدنا من فضلك واحسانك وثبتنا على دينك حتى نلقاك وانت راض عنا برحمتك يا اكرم الاكرمين اللهم وفقنا ولا تخذلنا واهدنا ولا تخيبنا ووفقنا لما تحب وترضى حيث ما كنا واعنا على القيام بحقك وحفظ اماناتك ورعاية عهدك بفضلك يا ارحم الراحمين ومن شعره مما قاله في ابي عبد الله

تجمعت فيك اشياء خصصت بها * فكلنا بك مسرور ومغتبط
فالسن ضاحكة والكف مانحة * والصدر متسع والوجه منبسط

وقد كان يقول في آخر دعائه اللهم انك تعلم ذنوبنا فاغفرها وتعلم حوائجنا فاقضها وتعلم اعداءنا فاكفنا شرهم كفى بك ولياء وكفى بك نصيرا.

وقد تم الكلام في اخبار المهدي واعود الى تمام دولة امير المسلمين علي بن يوسف ومما كان من الاحداث في ايامه وانه لما اضطربت عليه الامور من لدن ظهور المهدي وعبد المؤمن بعده فلم يستقم له امر والموحدون في اثناء ذلك تنمو احوالهم ويعظم شانهم وتاججت نار

الفتنة بالمغرب واصطلى بحرها طلاب العافية ورضيها كل من ذهب الى الفساد وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحروب وغلت الاسعار وتوالت الفتن وعم الجدب وقلت المجابي وكثرت على اهل الاسلام المحن بالعدوتين ووجه عن كثير من حماة الاندلس الى العدوة ونقل اليها كثير من اسلحتها وعددها فكان ذلك من اعظم فساد حل الاندلس واختلال امرها عليهم والح النصارى بالضرب على جهات بلاد الاندلس حين علموا عجز الامارة بالمغرب عن الدفاع لما هم فيه من الفتن حتى تغلبوا على كثير من بلادها وكان الاسلام بها عزيزا والكفر مقهورا والجزية مرتفعة منذ ملكها يوسف بن تاشفين الى خروج المهدي فساءت الاحوال وكثرت الشدائد والاهوال ولما انتهت الحال بالعدوتين الى ما ذكر اجتمع المرابطون ووقع اتفاقهم على ان يكون ولي العهد بعد امير المسلمين علي بن يوسف ولده لزعامته وشجاعته وشهامته ورجاحة عقله ولما ظهر منه في الاندلس من الغناء والنكاية في العدو فولاه عهده وقدمه على عساكره ومباشرة الحروب التى كانت بينه وبين الموحدين ولما راى امير المسلمين علي بن يوسف ما كانوا فيه من الادبار اغتم غما اورثه مرضا اثر في جسمه فالتزم فراشه واشتد به المه وزادت علته الى ان توفي رحمة الله عليه

كانت خلافته ستة وثلاثين سنة وسبعة اشهر وفاته بمراكش في رجب سنة سبعة وثلاثين وخمسمائة ولم يشهر موته الا بعد ثلاثة اشهر من وفاته ❁ وولي بعده ابنه امير المسلمين ابو محمد تاشفين ❁ كنيته ابو محمد وولى عهده بعده ابراهيم ووزراؤه جماعة من المرابطين كان بينه وبين الموحدين في مدة ابيه ومدته حروب ووقائع كان لهم فيها الظهور عليه واستقبل جيوش عبد المومن بعد موت المهدي المرة بعد المرة فلم تقم له قائمة وتبدد عسكره ولم يكن له جواز الى الاندلس في مدته لكن جاز اليها لما ولاه ابوه عليها وكان بطلا شجاعا حسن الركبة والهيئة وكان يسلك طريق الشريعة ولاه ابوه على عهده الاندلس فقوى الحصون وسد الثغور واذكى العيون على العدو واثر الجند لم تنل عنده الحظوة الا بالغناء والنجدة فحمل على الخيل وقلد الاسلحة واوسع الارزاق واستكثر من الرماة واركبهم واقام هممهم وعني بالغزو ومباشرة الحرب فهزم الجيوش وافتتح الحصون وتهيبه العدو فلم ينهض الا ظاهرا ولا صدر الا ظافرا ومهد احوالها بالحزم وملك نفوس الرعية بالعدلة وقلوب الجند بالنصفة له فيها غزوات مشهورة ووقائع مذكورة اشير الى طرف منها واعود الى ذكر حاله في العدوة . منها غزوته الشهيرة باحواز بطليوس بقرب الزلاقة

المعركة التي اوقع فيها جده بالطاغية الاعظم ادفنش بن فندقة حسبما تقدم ذكره وذلك ان الامير تاشفين اتصل به ان عظماء الروم وزعمائهم تالفهم جيش يحتوي على ءالاف من انجاد رجالهم ومشهور ابطالهم وقصدوا ناحية بطليوس فجاسوا خلالها ودوخوا ارضها فزحف اليهم وتلاقى معهم بمقربة الزلاقة فلما تراءى الجمعان اضطربت الملحمتان وتركبت المراكب فاخذ مصافها ولزمت الرجال مراكزها فكان في القلب مع الامير تاشفين المرابطون واصحاب الطاعة تقدمهم البنود البيض الباسقات مكتوبة بالايات وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من ابطال الاندلس تقدمهم حمر الرايات بالصور الهائلات وفي الجناحين اهل الثغور وذوي الجلادة والصبر وفي المقدمة مشاهير زناتة ولفيف الحشم اهل العمائم الماضية والبصائر الثابتة بالرايات المصنعة والاعلام المنية فالتقى الجمعان واشتد الضرب والطعان فولى الكفرة الادبار وامعنوا في الفرار فتبعهم المسلمون يقتلون وياسرون وصدر تاشفين الى قرطبة عزيزا ظافرا وكان ذلك سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وكانت له ايضا بالاندلس غزوة عظيمة وهي غزوة جبل القصر وذلك ان الروم اجتمعوا في جيوش وافرة وحشود متكاثرة فاكتسحوا البلاد وسبوا ما اتوه من العباد

فاستحضر الامير تاشفين زعماء المرابطين ونظر ما عندهم في لقاء عدوهم فقالوا الدولة لنا فاما تركها وحمايتها فالامر لمن شاء الله بعد ثم استدعى العرب فقالوا ارم العدو بنا ولا تشرك احد معنا وسيرى الله عملنا ثم استدعى زناتة والحشم فقالوا لا جواب الا بالفعل وشرطنا ان نعول ايدامنا فجرى كل خير واجابهم بما اطاب نفوسهم وقوى عزمهم وخرج بالجميع الى الجهاد فكر اليه من اعلمه ان الروم مالت الى الحصن في جبل القصر فاخذ الجبل فتملقت الخيل به ترهقه وتصيب منه وقد شرع القتل في الروم فهالهم الامر وتردوا ءاخذين في غير طريق فاخذهم الطعن والضرب الى عدة اميال فاتى على جلهم القتل وافلت النزر وامتلات ايدي المسلمين من دوابهم واسلحتهم وفكت الاغلال عن الاسرى وصرفت المواشي الى بلادها وكاد هذا الفتح يربي على ما تقدم من نظرائه استيصال شوكتهم وصار الامير تاشفين الى الى قرطبة وقد صنع الله له كافضل ما عوده وقد كانت له هزيمة على النصارى من بعد انحياز ومحاجزة جازت بين الفريقين اسلمه فيها جل من كان معه فتجلد للوقوف وصبر للمدافعة فلم يرا رابط منه جاشا ولا اشهم نفسا في مطلع ذلك الهول وعند اخترام القتال هناه الفقيه

الكاتب ابو زكرياء بن العربي بالسلامة في القصيدة المسطرة بعد وحذره من خدع الحرب ونبهه على احكامها وما ينبغي ان يفعل فيها رايت ان اضعها في هذا الكتاب لما تحتوي عليه من سياسة الحروب لمناسبتها لهذا الموضع وهي هذه القصيدة المذكورة اولها هذا

يا ايها الملك الذي يتوقع   من منكم البطل الهمام الاورع
ومن الذي غدر العدو به دجى   فانفض كل وهو لا يتزعزع
تمضي الفوارس والطعان يصدها   عنه ويدمرها الوفاء فترجع
والليل مرضيج الترايك بينهم   صبح على هام الكماة ملمع
عن اربعين ثنت اعنتها دجى   الفان الف حاسر ومقنع
لولا رجال كالجبال تعرضت   ما كان هذا السيل مما يودع
يتقحمون على الرماح كانهم   ابطال عطاش والاسنة مكرع
ومن الدجالهم على قمم لربا   وذؤابة بين الظبا تتقطع
فثبت والاقدام تزلق والردى   حول السرادق والاسنة تقرع
لا يطمعن على الامير فانها   خدع الحروب وكل حرب يخدع
ولكل يوم حنكة وتمرس   وتجارب في مثل نفسك تنجع
يا شجع الابطال ليلة امسه   اليوم انت مع التجارب اشجع
ها انت من ملك على صفر له   نظر صحيح والقنا تتصدع

هـديك من ادب الوغى حكما   بها كانت ملوك الحرب مثلك ولع
لا انني ادرى بهـا لكنها   ذكرى تخص المؤمنين وتنـفع
خندق عليك اذا اضطربت محلة   سيان تتبـع ظاهرا او تتبـع
وتوق من كذب الطلائع انه   لا راى للكذاب فيما يصنـع
فاذا احترست بذاك يك لا   مدى فى فرصة او في انتهاز مطمع
حارب بمن تخشي عقابك للذي   تخشى ومن في جود كفك يطمع
قبل التناوش عب جيشك مه   صحا حيث التمكن والمجال الاوسع
اياك تعبية الجيوش مضيقا   والخيل تفحص بالرجال وتمرع
حصن حواشيها وكن في قلبها   واجعل امامك منهم من يشجع
والبس لبوسا لا يكون مشهرا   فيكون نحوك للعدو تطلع
واحتل لتوقع في مضايقة الو   غا خدعا ترويها وانت موسع
واحذر كمين الروم عند لقائها   واخفض كمينك خلفها اذ تدفع
لا تلقين النهر خلفك عند ما   تلقى العـدو فامره متوقع
اجعـل مناجزة العدو عشية   ووراءك الصدف الذي هو امنع
واصدمه اول وهلة لا ترتدع   بعد التقدم فالنكوس تضعضع
واذا تكنفت الرجال بعرك   ظنك فاطراف الرجال توسع
حتى اذا صعبت عليك ولم يكـ   ـن الاشماس دائم وتمنع

ورايت نار الحرب تضرم بالظبا   ودخانه فوق الاسنة يسطع
ثم انتهض لجميع ما احمـدته   حتى يكون له المحل الارفع
اياك تعتب ان تولت عصبة   كانت توفه للوعاد وتدفـع
من معشر اعراض وجهك عنهم   ابكى عقاب في القلوب واوجع
وهم الكرام فاين يذهب عنهم   فعل الجميل وسخطك المتوقع
تكبوا الجياد وكل حبر عالم   يهفوا وتنبوا المرهفات القطع
انى فزعتم يا بنى صنهـاجة   واليكم فى الروع كان المفزع
ما انتم الا اسود خفيـة   كل بكل عظيمة مستطلع
ما قال سيدكم فظلم لم يكن   لكم التفات حوله وتجمع
انسان عين لم تصبه منكم جفن   وقلب اسامتـه الاضلـع
تلك التى جرت عليكم خطة   شنعاء وهي على رجال اشنع
اومى ليوسف جده من على   كل وفضل سابق لا يدفع
او ما لوالده علي نعمة   وبكل جيد ربقة لا تخلع
ابطاتم عن تاشفين ولم يزل   احسانه بجميعكم يتسرع
خاف العدا لكن عليكم مشفق   فهجرتم وجنونه لا تهجع
ومن العجائب انه مع سنه   ادرى واشهم في الحرب واضلع
وعفا وكان العفو منه سجية   واسطوه لو شاء فيكم موضع

يا تاشفين أقم لجيشك عذره بالليل والقدر الذي لا يدفع
هجم العدو دجى فروع مقبلا ومضى يهزم وهو منك مروع
كم وقعة لك في ديارهم انثنت عنها اعزتها تذل وتخضع
النعمة العظمى سلامتك التي فيها من الظفر الرضى والمقنع
كلا اهني لا اخص بنعمة فردا بها غل الجوانح ينقع
كادت تكون ولو اذا انزلزلت عنها البسيطة والجبال الخشع
وهوت باندلس عقاب لم تدع فيها لذكر الله صوت يرفع
لاضيع الرحمن سعيك انه سعي به الاسلام ليس يضيع
نستودع الرحمن منك وديعة فهو الحفيظ لكل ما يستودع

وكانت للامير تاشفين في الاندلس غزوات كثيرة وكانت جيوشه موفورة ورايته منصورة ولما استخلف امير الموحدين بالمغرب وجه عنه الى الاندلس ابوه وولاه عهده وقدمه لمدافعتهم ومباشرة حروبهم فكانت بينه وبينهم وقايع اكثرها عليه ولما توفي ابوه وخلص له كثير الطايع لعبد المومن ونزل عبد المومن من جبال تادلا وجبال غمارة ويقتل ويغنم وسلك منها مستقبل الجبال ما بين فاس وتلمسان وتغير سراياه يمنة ويسرة واتبعه الامير تاشفين فكان الموحدون يسيرون في الجبال المانعة حيث الارزاق الواسعة وكان تاشفين ينزل البسائط

بعساكره فلا يجد من البرابرة من يواصله ولا من يستعين به ويداخله وذلك بسبب الادبار وانقطاع الدولة والانصار وانتقل عبد المومن الى جبل غمارة فتبعه تاشفين ثم انتقل من جبل غمارة الى جهة تلمسان وبايعه اكثر زناتة المستوطنين باحواز تلمسان ونزل براس الجبل الذي عليها وحاز وعره تسلك خيله منه اية تريد (قال ابو علي الاشيري) ووصلت الى الامير تاشفين محلة من ملك افريقية ابن حماد الصنهاجي برسم امداده واعانته وعند ما وصلوا اليه برز اليهم بجموعه فلا نخص تلمسان خيلا ورجلا الا ان الادبار كان له محاذيا وبانقطاع دولته مناديا فنزل الصنهاجيون بمحلتهم فاكرم تاشفين نزلهم واحسن اليهم والموحدون خلال ذلك ينظرون الى ما يصنعون فما هالهم امرهم ولا افزعهم كثرتهم وانهم طلعوا اليهم في بعض الايام من جهة العباد فهبط عليهم الموحدون وهزموهم وقتلوا كثيرا منهم وعند ذلك كتب تاشفين الى الاقطار يستدعي اهلها فوصله عسكر سجلماسة وعسكر الامداد من بجاية ووصل من الاندلس ابنه الامير ابو اسحاق ابراهيم بن تاشفين فولاه ابوه عهده وذلك سنة ثمان وثلاثين وخمسماية وكان عنده من الروم نحو اربعة آلاف فارس واجتمعت عليه العساكر المذكورة بتلمسان وامر بعض الجيوش

والتمييز عليهم من الجنود والحشود وسائر الوفود فميزوا وبرزوا وعجب الناس من كثرة عددهم وعددهم واحتفالهم في الزينة حتى زعموا انهم لم يروا مثل تلك الجيوش حسنا وجمالا وعدة وكمالا واضطربت العساكر من باب القرمادين الى الجهة المتصلة باصل الجبل وذلك كان اخر جيش احتفل فيه المرابطون (قال ابن اليسع) حدثني غير واحد من الموحدين قال لما نزلنا من جبل تلمسان يريد بلاد زناتة اتبعنا المرابطون فلاقيناهم معهم قال فصنعنا دارة مربعة في البسيط جعلنا فيها من جهاتها الاربع صفا من الرجال بايديهم القنا الطوال والطوارق المانعة وورائهم اصحاب الدروق الحراب صفا ثانيا من ورائهم ووراءهم اصحاب المخالي فيها الحجارة ووراءهم الرماة نفوس الرحل وفى وسط لمربعة الخيل فكانت خيل المرابطين اذا دفعت اليهم لا تجد الا الرماح الطوال الشارعة والحراب الحجارة والسهام يا سرة فخين ماتوا من الدفع وتدبر واخرج خيل الموحدين من طرق تركوها وفرج اعدوها فتصيب من اصابت فاذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا وكان هذا اليوم يعرف بيوم مغداس فقد فيه من جيوش المرابطين ما لا يحصى وفي ذلك اليوم ظهر امر عبد المومن وكثر جمعه وكان من اعظم ما تايد به على المرابطين قيام اهل

الاندلس عليهم لكونهم اخلوها من حماتها واسلحتها والفتنات الاكبر نسخ الامر بالامر غيره وكانوا يكتبون اليوم شئيا وغدا بغيره فيسخر جندهم ورعاياهم منهم وقد كان تاشفين بنا لها حصنا بمقربة من وهران على شاطيء البحر حصنه واتخذه ملجئا واوعز لقائد اسطوله بالمرية ابي عبد الله بن ميمون ان يجهز له عشرة اجفان غزوية تكون بمرسى هذا الحصن معدة لحادث يحدث عليه وان الجأته ضرورة الى الجواز الى الاندلس جاز وان الموحدين والمرابطين انتقلوا من جهة تلمسان ونزل عبد المومن بالجبل المطل على وهران فتبعه تاشفين بمحلته ونزل بخارج وهران وكانوا يحاربون كل يوم دام ذلك بينهم شهورا كثيرة ولم يزل حال الموحدين في علو وظهور كل يوم وحال اللمتونيين في ادبار لا يتم لهم امر ولا ينجح لهم تدبير ولما استقر تاشفين بوهران وتقلصت حاله تقاص الظلال وصارت اموره كلها الى الاختلال وضاقت به الحال وعاين عزم الموحدين عليه ايس من الحياة والتجا الى الحصار بعد ان كان له في ممارسة الحروب جملة سنين لم يستقر فيها ببلد ولا اجتمع بوالد ولا ولد وانه خرج من وهران على اختفاء واستتار وترك خيامه وعساكره بجهات وهران وصار منها الى الحصن الذي بناه على شاطيء البحر معه خاصته ليتفقد

حاله ويتشوف على الاجفان التى كان ينظر وصولها من الاندلس فعلم به الموحدون فاحدقوا بالحصن من كل مكان واشعلوا به النيران فلما جن الليل خرج تاشفين يطلب النجاة بنفسه فركب فرسه التي تدعى بالريحانة وكانت مشهورة بالسبق فتردى من حافة بعيدة المهوى ظن ان الارض وطية متصلة فلما اصبح وجد باسفل الحافة ميتا على تلك الصورة ولم يعلم بذلك عسكر المرابطين وقطع عنهم الماء ومات اكثرهم عطشا وحمل السيف على من بقى ضحى يوم عيد الفطر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بعد ثلاثة ايام من موت اميرهم تاشفين كانت وفاته من حين وفاة والده سنتين وشهرين ووفاته في شهر رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

ولي بعده رحمه الله ابنه امير المسلمين ابراهيم بن تاشفين

كنيته ابو اسحاق ولم يعقب ووزراؤه جماعة من اشياخ المرابطين كان قد ولاه عهده وهو بوهران ووجهه الى مراكش واصحابه جماعة من لمتونة وذلك قبل وفاته بشهر بويع له بحاضرة مراكش لما مات ابوه بوهران وخالف عليه عمه اسحاق بن علي ونقض بيعته ودعى لنفسه ووقع الخلاف والتدابر بينهما الى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم ولم ينهض بالملك بسبب

استيلاء الموحدين على معظم البلاد بالمغرب ولما دخل عبد المومن وهران انصرف بعد ذلك الى تلمسان فملكها ودخلها عنوة وقتل اهلها وسبى حريمها ودخل كل واحد من الموحدين من الموضع الذي يليه فاخذوا فيها من الاموال ما لا يحصى ذكر ابن اليسع انه بلغ عدد القتلى بها الى مائة الف او ازيد ولما ملكها اقام بها سبعة اشهر ورحل منها الى جهة المغرب فنزل على مدينة فاس وبها احد اولاد علي بن يوسف والمدبر لها مشرفها ابو محمد الجياني فاجتمعت عليه بها الوفود من كل جهة ومكان وبلغ في حصارها واقام محاصرا لها نحو ستة اشهر واهلها يقاتلونه خارج البلاد ومن اشد ما دهاهم به ان الوادي الذي يشق مدينة فاس سده عليهم وامر الناس يسووا الحطب والخشب ورفع التراب على ذلك سدا بعد اخر حتى احتبس الماء وحبس الواد فصار الفحص كله بحرا وقام الماء يرتفع ويرتدع الى ان صار بحرا تجري فيه السفن استعان على ذلك بكثرة الالات والعالم واتساع الفحص ثم هدم السور بمرة فوقع عليهم السور وقد كان عبد المؤمن يريد ان يدخلها فوقف له اهل فاس على متهدم السور وقاتلوه من خارجها ولما طال عليهم الحصار وجه الجياني مشرفها في خفية لعبد المؤمن فامنه وادخله من باب الفتوح وذلك ان واليها من

المرابطين طلبه في مال وضيق فيه عليه فلم يكن في وسعة من ان يعطيه له فحين بدا عمل الحيلة في دخول عبد المؤمن وخرج صاحبها عنها فاستولى الموحدون على فاس ورحل عبد المؤمن منها الى سلا وقد كان عبد المؤمن بعث ستة الاف فارس من رقاق ومكلاتة وزناتى وكزناية الى محاصرة مكناسة فبنوا عليها سورا وحفروا امامه حفيرا فكان اهلها في سجن لا يقدرون على الخروج منها شرقا ولا غربا اداروا السور عليهم وتركوا فيه ابوابا يدخلون منها لقتال اهل البلد فتركه عليها وانصرف الى سلا ولما وصل الى سلا تغلب عليها من ساعته وفتحها قبل نزوله وطاعت له قصبتها التي كان بناها الامير تاشفين في الرباط واخذ في الحركة الى مراكش واستعد لها غاية الاستعداد وكان بها ولد تاشفين المتامر بعده حسبما يذكر بعد ان شاء الله

ذكر حصار مراكش

ولما كان في محرم سنة احدى واربعين وخمسمائة توجه عبد المؤمن الى حاضرة مراكش مقر خلافة المرابطين ووصل بجيوشه اليها نزل بجبل بغربيها يعرف بالجبل الجبلين وهو جبل صغير بنى عليه مدينة استند اليها وبنى فيها مسجدا وصومعة طويلة يشرف منها على مراكش ولما اكمل المدينة بالبناء ونزلت كل قبيلة في الموضع الذي حدها لها

زحفوا بجمعهم لمراكش وقد كان كمن لهم الكمائن واقام هو بالمنظرة يبصر احوالهم فانهزم لهم الموحدون يجرونهم الى الكمائن ولما وصلوا الى مقربة المدينة التي بناها عبد المؤمن بالجبل المذكور وعلم عبد المؤمن بان اكثر اهل مراكش من الفرسان والرجال خرجوا وامر بضرب الطبول وخرجت الكمائن فمات في ذلك اليوم من اهل مراكش ما لا يحصى واتبع السيف سائرهم الى الابواب فقتل بعضهم بعضا بالازدحام وطال الحصار عليهم واشتد الجهد بهم ولكثرة خيلهم ورجالهم نفد طعامهم وفنيت مخازنهم حتى اكلوا دوابهم ومات منهم بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين الفا ولما طال عليهم الحصار واشتدت احوالهم وهلكوا جوعا حتى اكلوا الجيف واكل اهل السجن بعضهم بعضا وعدمت الحيوانات كلها والحنطة باسرها واختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء عجزت عساكر اللمتونيين حينئذ عن الدفاع والامتناع بضعف العدد والعدة وكثرة الضيقة والشدة ففتحت مراكش حينئذ على ما ياتي وصفه وذلك انه لما كان يوم السبت الثامن عشر لشوال سنة احدى واربعين وخمسمائة على ما نقله ابن اليسع انه قال حدثني من اثق به انه لما اراد الله فتحها دخل جيش الروم الذين كانوا بداخلها يد عبد المؤمن واستامنوه فامنهم واتفقوا معه

على ان يدخلوه من الباب المعروف بباب اغمات . قال البيذق وامر عبد المؤمن بعمل السلاليم للسور قسمها على القبائل احدقوا بالمدينة فدخلت هنتاتة من جهة باب دكالة ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين ودخلت هسكورة وغيرها من جهة باب فتسنموا الاسوار ودخلوا البلد بالسيف وامتنع الامير ابو اسحاق ابراهيم بن تاشفين مع المرابطين وجملة الاعيان بداخل القصبة المعروفة بقصر الحجر وهو حصن حصين وتمادى القتل من بكرة الى وقت الزوال وطلبوا الامان فلم يسعف ودخل عليهم فاخرجوا الامير ابا اسحاق واخرجوا معه جملة من الامراء وابناءهم ومن كان معهم من لمتونة الى الموضع المعروف بجبل الجليز وان الامير ابا اسحاق لما وصل الى عبد المؤمن واشفق عليه لصغر سنه وهم ان يعفو عنه ويسجنه فقال له بعض الموحدين اتحب ان تربي فرخ سبع ولما قدم الامير ابو اسحاق جعل يرغب لعبد المؤمن في ابقائه فتفل في وجهه الامير سير بن الحاج احد اشياخ المرابطين وقال له اترغب الى ابيك ومشفق عليك اصبر صبر الرجال . فقتل وقتل كل من اخرج معه قال ابن اليسع وقتل في ذلك اليوم مما صح عندي يُنيف على سبعين الف رجل واستمر القتل على اهل البلد ثلاثة ايام وكانت مدته من

حين وفاة ابيه الى دخول مراكش سنتين وزيادة ايام ووفاته في شوال سنة احدى واربعين وخمسمائة وبموته انقرض ملك اهل اللثام والملك لله الواحد القهار يذكر ان الاستاذ ابا عبد الله بن ورد راى في النوم قبل انقراض دولة المرابطين بيسير قائلا يقول

الا ايها المغرور ويحك لا تنم * فلله في ذا الخلق امر قد انبرم
فلا بد ان يرزوا بامر يسوءهم * فقد احدثوا جرما على حاكم الامم

وقال بعض اهل العلم الحدثان انقراض دولة بني تاشفين المعروفين بالمرابطين كسلك انتثر ثم ذر اين ما يكون عندها يهون وقال القاضي ابو بكر بن العربي في تاليفه عارضة الاحوذ في شرح الترمذي المرابطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين وهم حماة المسلمين الذابون والمجاهدون دونهم ولو لم يكن للمرابطين فضيلة ولا تقدم ولا وسيلة الا وقيعة الزلاقة التي انسى ذكرها حروب الاوائل وحروب داحس والغبراء مع بني وائل الكان ذلك من اعظم فخرهم واربح تجرهم كانت مدتهم من اول ظهورهم تسعين سنة وبالاندلس ستا وخمسين سنة فسبحان من لا يبدل ملكه ولا يفنى دوامه لا اله الا هو العلي العظيم وقد نظم الفقيه ابو طالب عبد الجبار الشنتوري في رجزه دولة المرابطين فقال

واذا اراد الله نصر الدين ... استصرخ الناس ابن تاشفين
فجاءهم كالصبح في اثر غسق ... مبتدر كالماء يبقي من رمق
اتى ابو يعقوب كالعقاب ... فجرد السيف على الرقاب
ووصل السير الى الزلاقة ... وساقه ليومها ما ساقه
لله دريالها من وقعة ... قامت بنصر الدين يوم الجمعة
وثل للشرك هناك عرشه ... لم يغن عنه فيه ادفنشه
واتصل الامر على النظام ... وامتد ظل الله في الاسلام
وانصرفت على العدو الكرة ... وامن الجمع كاولى مدة
فالان خيل الله في العدو ... روح في السماء والغدو
ثم ولي علي بن يوسف ... مقتديا حكم ابيه يقتفي
وبعد ذاك الليث تاشفين ... غصب ظلما ملكه المكين
واتت الفتن والارزاء ... واستحكمت في اهلها الاهواء
والله بالمرصاد من ورائهم ... وهو المرجي لدفاع دائهم

ولما توفي ابراهيم بن تاشفين ودخلت مراكش بالسيف حسبما تقدم هذا وولي فيها بعد عبد المؤمن بن علي على حسب ما ياتي بعد ان شاء الله تعلى وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

الخليفة عبد المؤمن ابن علي

نسبه هو عبد المومن بن علي بن علوي بن يعلي بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الامتر بن موسى بن عبد الله بن يحي بن ورجايع بن سطفور بن يعقون بن ملطاط بن هودج بن نسير ابن عيلان بن مضر هكذا نسبه كثير ممن له عناية بهذا الشان وحكى بعضهم انه نقله على هذه الصورة من خط حفيده السيد ابي محمد عبد الواحد كنيته ابو محمد لقبه الموحدون بالخليفة امير المؤمنين بنوه الذكور نحو السبعين ولما توفي المهدي حسبما تقدم قبل تفاوض بقية اصحابه وهم اربعة من يكون امامهم بعده فوقع اتفاقهم على عبد المومن لما كانوا يشاهدونه من تعظيم المهدي له بمحضر اصحابه وجميع الموحدين ويقبل عليه ويستبشر بكلامه فاتفقوا عليه وقدموه فاقام فيهم مسوداً عندهم سائسا لهم مدبرا لامورهم ولما كمل اجتماعهم في تقديمه سنة اربع وعشرين وخمسمائة وبايعه اهل خمسين وسائر الموحدين تشاور معهم على اي جهة تكون حركته الاولى فاتفق رايهم على قصد تادلا واحوازها فتوجهوا نحوها وطاعت له ومنها الى درعة فملكها ولم تزل من حين ولايته امور الموحدين تنموا واحوالهم تعظم وهم في كل يوم يظهرون على المرابطين الى ان كان

ما تقدم من استيلائهم على بلاد المغرب وحصر حاضرة مراكش ودخلها عليهم بعد ذلك حسبما تقرر في موضعه قال ابن صاحب الصلاة ولما تم لعبد المومن فتح مراكش ودخلها رجع منها الى محلته وجعل الامناء على ابوابها مدة من شهرين فاجتمع فيئها واموالها فقسمه على الموحدين وقسم عليهم ديارها وبيع عيال مراكش واولادهم بيع العبيد الا بنت يوسف فاحترمت على البيع لمكان زوجها الامير يحي بن اسحاق المسوفي المعروف بونزمار لكونه ترك قبيله ودخل في دعوة عبد المومن واحترمت داره من الفيء واستولى عبد المومن على ذخائر علي بن يوسف وذخائر لمتونة مما يقصر على وصفه اللسان . ولا ياتي على شرحه البيان . وبقيت مراكش ثلاثة ايام لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج وابى الموحدون دخولها لان المهدي كان يقول لهم لا تدخلوها حتى تطهروها فسال الموحدون الفقهاء عن ذلك فقالوا لهم تبنوا انتم مسجدا ءاخر فكان ذلك فبنى الخليفة عبد المومن بدار الحجر مسجدا ءاخر جمع فيه الجمعة وشرع في بناء المسجد الجامع وهدم الجامع الذي كان اسفل المدينة الذي بناه علي بن يوسف ولما اكمل عبد المومن بناءه صنع فيه صباط يدخل من القصر اليها ومنها الى الجامع

لا يطلع عليه احد ونقل اليه منبرا عظيما كان قد صنعه بالاندلس في غاية من الاتقان قطعته عود وصندل احمر واصفر وصفائحه من الذهب والفضة وصنع مقصورة من الخشب لها ست اضلاع تسع اكثر من الف رجل وكان المتولي لصنعه رجل من اهل مالقة يقال له الحاج يعيش وهو الذي ابتنى جبل الفتح على ما هو عليه الان في مدة الخليفة عبد المومن بن علي وكيفية هذه المقصورة انها وضعت على حركات بعد رفع البسط عن موضع المقصورة فتطلع الاضلاع في زمان واحد لا يفوت بعضها بعضا بدقيقة وكان باب المنبر مسدودا فاذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة ولا يسمع له حس ولا يرى تدبيرها يقول فيها الكاتب ابو بكر بن مجبر الحميري الفهري من قصيدة طويلة

طورا تكون بمن حوته محيطة   فكانها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم مخبوءة   فكانها سر من الاسرار
وكانما علمت مقادير الورى   فتصرفت لهم على مقدار
فاذا احست بالامير يزورها   في قومه قامت الى ازوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده   كتكون الهالات للاقمار

وان الخليفة عبد المومن غرس خارج مراكش بستانا طوله ثلاثة

اميال وعرضه قريب منه فيه كل فاكهة تشتهيها الانفس وجلب اليه الماء من اغمات واستنبط عيونا كثيرة . قال ابن اليسع وما خرجت انا من مراكش في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة الا وهذا البستان الذي غرسه يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين الف دينار مومنية على رخص الفواكه بها ولما تولى عليه الفتح واستوثق له الامر قام عليه قائم ببلاد السوس وهو محمد بن عبد الله بن هود الماسي وتسمى بالهادي وادعى الهداية اقتداء بالمهدي محمد بن عبد الله بن تومرت وكان قصارا بسلا فاقبل الناس عليه من كل مكان واجتمعوا عليه اجتماعا طار به الذكر في الافاق وقامت بدعوته امم لا تحصى واتصلت دعوته في جميع اقطار العدوة حتى لم يبق منها الا مراكش وفاس وخالفت عليه جميع سائر البلاد ورفضوا دعوة الموحدين وكاد يضمحل وينقرض ما قاتلوا عليه منذ خمس وعشرين سنة فوجه اليه عبد المومن عسكرا فهزمه الماسي المذكور وعاد اليه خاسرا مهزوما ووجه اليه جيشا اخر وقدم عليه الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي ومعه جملة من الموحدين وجملة من الرماة وطائفة من النصارى وغيرهم من الاجناد واستعدوا للقائه بالسوس غاية الاستعداد فانهزم وقتل كثير من اهل عسكره وتخلص الملك بعد ذلك بالمغرب لعبد المومن وفي اثناء ذلك قاتل

عبد المومن قبيل دكالة فتحازوا الى الساحل في نحو عشرين الف فارس ومائتي الف راجل وسار اليهم عبد المومن في امم لا تحصى من الخيل والرجل والرماة وكان اهل دكالة لا رامي عندهم ولما اصطفوا وتاهبوا للقتال جاءهم من ناحية اخرى غير الناحية التي عقدوها فانحل نطاقهم وفل جمعهم وخرجوا عن وعر الموضع الذي كانوا به فالجاهم السيف الى البحر فقتل اكثرهم في الماء واخذت ابلهم وغنمهم واموالهم وسبي اولادهم وانتهى البيع فيهم الى بيع المرأة بدرهم والغلام بنصف درهم ولما تخلص له ملك المغرب وصلته البيعة من بعض المواضع بجزيرة الاندلس واول بيعة وصلته منها واول وفد وفد عليه اهل اشبيلية ولذلك اعتنوا بها في مدتهم وصيروها حاضرتهم بالاندلس وكان من الوفد القادمين عليه القاضي ابو بكر ابن العربي المعافري والخطيب ابو عمر ابن الحجاج والكاتب ابو بكر ابن الجد وابو الحسن الزهري وابو الحسن بن صاحب الصلاة وابو بكر السجرة والباجي والهوزني وابن القاضي شريح وعبد العزيز الصدفي وابن السيد وابن الزاهر وغيرهم من وجوه اشبيلية في ذلك العهد فاذن لهم في السلام عليه وتقدم القاضي ابو بكر بن العربي وخطب خطبة بليغة استحسنها الخليفة عبد المومن ثم تلاه الفقيه ابو

بكر بن الجد بخطبة ثانية فاحسن واجاد ودفعوا له بيعة اهل اشبيلية مشهودة بخطوطهم فقبلها منهم واستحسن فعلهم ثم ان الخليفة عبد المومن سال ابن العربي عن المهدي هل رءاه او لقيه في مجلس ابي حامد الغزالي ببغداد فقال له لم القه وانما سمعت به وان الشيخ كان يقول لابد من ظهوره وفي ايام ابن العربي من وجهته هذه توفي رحمه الله ودفن بجبانة فاس ولما تم لعبد المومن ملك المغرب شرع في اعمال الحركة الى افريقية واستلائه على مملكة الامراء من بني حماد الصنهاجيين فحشد جميع الموحدين وخرج من مراكش واحتل بسبتة واظهر الجواز الى الاندلس للجهاد واستدعى وجوه الاندلس واستوضح مسائلهم ثم رحل منها مظهرا العودة الى حاضرة مراكش ولما وصل طنجة اخذ على قصر عبد الكريم وحل مدينة فاس على عينه واخذ قاطعا الى الشروق نادى مناديه ايها الناس من تكلم منكم بكلام معناه الى اين هذا السفر فجزاؤه السيف ثم تحرك الى بجاية مستعجلا في الرحيل قاصدا الشمار صاحب بجاية العزيز بالله يحي بن ناصر من ملوك بني حماد حتى وصله عامله بالجزائر وقد خرج منها ودخلها الموحدون وقد كان بين الخليفة عبد المومن وبين ابن حمدون وزير صاحب بجاية كتب ومداخلة فلما سمع به فتح له باب بجاية وفر من قصبة صاحبها

ابن حماد الى قسنطينة وحصره بها الموحدون فنزل منها على امان وصار مع الخليفة عبد المومن الى حاضرة مراكش فاعمره الديار واقطعه الضياع واقام هو وبنوه تحت اكرام ومبرة الى ان انقرضوا ولما استقر ابن حماد بمراكش تحامل وتجاهل واشغل نفسه بالصيد واستعمل شباك الحديد لصيد الاسد وكان يهديها للخليفة عبد المومن فيثيبه عليها وانه اصاب في بعض الايام شبلا صغيرا وادخله على الخليفة في مجلسه فامر بحله من عقاله فرابض وسكن لا يتحرك من موضعه واتفق ان اهدى له في ذلك اليوم زرزوراً يتكلم بانواع الكلام فارتجل ابو علي الاشير ابياتا في صفة الحال فقال

انس الشبل ابتهاجا بالاسد ورای شبه ابيه فقصد
ودعى الطائر بالنصر لكم فقضى حقكم لما ورد
انطوى الخالق مخلوقاته بالشهادات فكل قد شهد
انك القائم بالامر له بعد ما طال على الناس الامد

واستولى عبد المومن على افريقية وقدم عليها الشيخ ابا محمد ابن ابي حفص وعاد الى حاضرة مراكش وقد تهيا له فتح لاكفاء له وكان الخليفة عبد المومن باراً بمن انضوى اليه عارفا باقدار الناس مكرما لاعيانهم واهل البيوتات منهم عالما بمقادير العلماء ينزل الناس على قدر

منازلهم وربيهم وربى الحفاظ بحفظ كتاب الموطا وهو كتاب اعز ما
يطلب وغير ذلك من تواليف المهدي وكان يدخلهم في كل يوم جمعة
بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه وهم نحو ثلاثة ءالاف
كانهم ابناء ليلة من المصامدة وغيرهم قصد بهم سرعة الحفظ والتربية
على ما يريده فياخذهم يوما بتعليم الركوب ويوما بالرمي بالقوس ويوما
بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة طول تربيعه نحو ثلاثمائة
باع ويوما ياخذهم بان يجدفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك
البحيرة فتادبوا بهذه الاداب تارة بالعطاء وتارة بالادب . وكانت
نفقتهم وسائر مؤونتهم من عنده . وخيلهم وعددهم كذلك ولما كمل له
هذا المراد فيهم عزل بهم اشياخ المصامدة عن ولاية الاعمال والرياسة .
وقال العلماء اولى منكم فسلموا لهم وابقاهم معهم في المشورة وقد كان ظهر
له حين ذلك ثلاثة عشر من اولاده كلهم حفاظ خطاطون قد كملت
فيهم الصفات التى رباهم عليها وتخصلوا بالخصال الحميدة فاشار عليه
اشياخ الموحدين بتقديمهم . وقالوا له يا امير المؤمنين ابناؤك اولى
بالتقديم فاظهر الامتناع ولم يزالوا به حتى ولاهم الاعمال جعل كل
واحد منهم على اقليم وقدم ابناء المشيخة تحت ايديهم . فاولى السيد
ابا حفص تلمسان ووجه معه الشيخ ابا محمد بن واندوق والكاتب ابو

الاصبغ بن عياش . وولى السيد ابا سعيد عثمان غرناطة ووجه معه الشيخ
ابا عبد الله بن سليمان والكاتب ابا الحسن بن هرودس وولى السيد
ابا محمد عبد الله بجاية ووجه معه الشيخ ابا يعقوب يوسف بن سليمان
والكاتب ابا العباس بن مضاء وتوجه كل واحد من هؤلاء على جهة
التدريب والتعليم لهم

ذكر توجه الخليفة عبد المومن الى المهدية

كانت عادته في اسفاره ان يرحل بعد صلاة الصبح بعد ان يضرب
كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعا منشا من خشب اخضر
اللون مذهب فاذا ضربت فيه ثلاث ضربات علم انه طبل الرحيل
فيرحل الناس وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع
في يوم لاريح فيه وبلغ جيشه في هذه الوجهة الى خمسة وسبعين الف فارس
ومن الرجال الى خمسمائة الف وكان العسكر منقسما على اربعة عساكر
لكل عسكر يوم يختص به وماء ينزل عليه مسيره في كل مرحلة الى
وقت الغداة وتنزل الجيوش مريحة الى يوم ءاخر قطع من سلا الى
تونس في ستة اشهر وهي مسيرة سبعين يوما للمجد الراكب وكان
اذا ركب اجتمع اليه اعيان الناس فيدعوا ويتقدم الناس ويمشي امامه
على بعد منه مقدار مائة فارس ويتقدم الناس امامه بمصحف عثمان

بن عفان رضي الله عنه وهو الذي كان عند الناصر عبد الرحمن بن محمد من خلفاء بني امية بالاندلس وكان في زمن الخليفة عبد المومن بجامع قرطبة فبعث اليه وجيء به فانفق عليه اموالا عظيمة وصنع تابوتا عجيبا وغلفه بغلاف صفائحه من الذهب ورصعه باليـاقوت الاحمر وكان من اغرب ما فيه الحافر الاحمر من الياقوت الذي هو على شكل حافر الفرس وكان فيه نفيس الدر والزمرد وكل ذخيرة حصلت عند المرابطين وعند بني حماد الصنهاجيين وعند بني هود وعند بني عباد ولما كمله صنع له هودجا يحمل فيه على نجيب وعلى الهودج اربع علامات حمر ويتبعه هو وابنه السيد ابو حفص وراءه الا ان الاقرب الى ابي حفص منهـم السيد ابو عبـد الله لا يوازيه احـد وابنـاؤه وراء اخيهـم ابي حفص لا يوزونه ولي العهد ثم تبعه البنود والطبول ومن ورائه المدبرون لدولته ويتتابع الناس لا تزاحم بينهم فاذا كان وقت النزول نزلت كل قبيلة في منزلها وعلى ترتيبها لا يتعدى احد طوره لهم رتب معـلومة قيدها الحمد وحماها الخوف وفي محلته جميع الصناع وكل ما يحتاج اليه كان المسافر معهم مقيم . ولما نزل على تونس بعث اليه اهلها يستأمنونه الامان فامنهم في انفسهم واولادهم لا في اموالهم ودخل الجيش المدينة وحصلت

اموالهم كلها تحت التقييد وبيعت امتعتهم وبني باعلاها قصبة ابراجها مثلثة الزوايا امامها فصيل من نوعه حال بين ساكنها وبين البلد . ورحل منها يريد المهـدية وقد كان تملكها النصارى في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة استولى عليها صاحب جزيرة صقلية وعلى صفاقس ودخل بونة وغيرها من ذلك الساحل وعادت الى المسلمين على يد الخليفة عبد المومن سنة خمس واربعين وخمسمائة فاقام عليها ستة اشهر وتسعة ايام وكان بداخلها من الافرنج ثلاثة آلاف وما للمهـدية قتال من البحر وانما قتالها من شمالها من ناحية البر من مكان ضيق قد حصر بسور عرضه يمشي عليه فارسان ووصل اليهم مائة جفن من جزيرة صقليـة بالاقوات والمـدد فخرج اليهـم القـائد ابو عبد الله بن ميمون باسطول الاندلس والمغرب اقام على باب دار الصنعة ولا دخول اليها الا من بابه فاخذوا الكثير منهم ولما طال الحصار خرج اليه ثمانية من اعيان الروم فقالوا له يا امير المومنين انت الموجود في كتبنا انك تملك الارض وغرضنا عن البلاد باموالنا واهلنا ونترك لك البلد فكتب لهم الامان بذلك وخرجوا عن البحر الى صقلية ودخل الخليفة عبد المومن الى المهدية سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانقادت اليه اقاليم افريقية كلها واستعمل على تلك الجهات عماله

وعاد الى المغرب ولما وصل الى مدينة فاس توجه منها الى سبتة وجاز الى الاندلس (جوازه الى الاندلس) سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونزل بجبل الفتح وامر ببناء الحصن الكائن الان فيه على ما هو عليه وهو اختط رسومه بيده وتولى بناءه ابنه السيد ابو سعيد عثمان صاحب غرناطة وكان ممن بناه وشاور فيه الحاج يعيش المهندس وفي اثناء مقامه بالجبل بعث ثمانية عشر الف فارس من عسكره بالجبل الى ارض العدو واتته وفود الاندلس من كل جهة ومكان واحتفل شعراء الاندلس في القصايد وخطباؤها في الخطب وكان في وفد غرناطة الوزير ابو حفص بن سعيد العنيسي وهو حدث السن في جملة ابيه واخوته فدخل معهم على الخليفة وانشده قصيدة منها

تكلم فقد اصغى الى قولك الدهر ... وما لسواك اليوم نهي ولا امر
ودم كل ما قد شئته فهو كائن ... وحاول فلا بر يفوت ولا بحر
وحسبك هذا البحر بالا فانه ... يقبل تربا داسه جيشك النجر
وما صوته الا سلام مردد ... عليك وعز بشر بقربك مفتر
بجيش لكي يلقي امامك من عدا ... يعاند امرا لا يقوم له امر
اطيل على اهل الجزيرة سعدها ... ويعددها ذلك الخبر الخير
فما طارق الا لذلك مطرق ... ولا ابن نصير لم يكن ذلك النصر

هما مهداها كي تحل بافقها ... كما حل عند التم بالهالة البدر

فلما جاز الى العدوة انصرف الى مراكش وقد كمل له بملك افريقية مسيرة اربعة اشهر من المشرق الى المغرب من طرابلس الى اقصى السوس ومن الجنوب الى الشمال في اعرض المواضع من قرطبة الى سجلماسة خمسة وعشرين يوما كانت ثلاثة وثلاثين سنة وثمانية اشهر وخمسة وعشرين يوما من حين وفاة المهدي ومن شعره لما اقبلت حشود لمطة الى فحص مراكش مع الامير ابي ابراهيم بن اسحاق بن امير المومنين علي بن يوسف وهزمهم الموحدون وغنموا لهم من الجمال نحو ثمانين الفا هناه المشرقي ابو عبد الله الجياني بشعر اوله

اضاءت لنا الايام واتصل النجح ... وكان وجوه الدهر مسودة كلح

فاجابه الخليفة عبد المومن بقوله

هو الفتح لا يجلوا غرائبه الشرح ... اصاب بني التجسيم من باسه طرح
اتتنا به البشرى على حين غفلة ... بمهلك قوم كان وعدهم الصبح

وفاته برباط الفتح من سلا سنة ثمان وخمسين واحتمل الى تينمال ودفن بباب قبر المهدي رحمة الله عليهما وولي بعده ابنه

الخليفة يوسف ابن عبد المومن

كنيته ابو يعقوب وتلقب بامير المومنين ابن امير المومنين بنوه الذكور

ثمانية عشر كبيرهم يعقوب المنصور الوالي بعده ووزيره اخوه السيد ابو حفص وابو العلاء ادريس بن جامع جاز الى الاندلس في خلافته مرتين وهو الذي امر ببناء المسجد الجامع باشبيلية وبناء الصومعة بها سنة اثنين وسبعين وخمسمائة فاتمها ابنه يعقوب المنصور وبنا ايضا دار صنعة الانشاء بسبتة على ما هي الآن عليه . وفي جوازه الثاني الى الاندلس سنة ثمانين وخمسمائة دوخ بلاد غرب الاندلس ونزل مدينة شنترين وقاد له الجيوش اخوه شقيقه ابو حفص وابو سعيد وولي بقية قواعد الاندلس وملك من طرابلس الى جزيرة شقر بالاندلس وكان في مدته سنة احدى وسبعين وخمسمائة الطاعون بمراكش ومات فيه من اولاد الخليفة عبد المومن السيد ابو عمران ثم اخوه السيد ابو سعيد ثم اخوهما السيد ابو زكرياء صاحب بجاية والشيخ ابو حفص عمر بن يحى الهنتاتي جد الملوك الحفصيين والقاضي ابو يوسف حجاج بن يوسف كانت خلافته اثنين وعشرين سنة وعشرة اشهر واثني عشر يوما مولده بتينمال سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة وفاته رحمه الله بنهر تاجه في قفوله من غزاة شنترين على ظهر دابته واحتمل الى رباط الفتح من سلا فدفن به ثم احتمل منها الى تينمال فدفن لصق ابيه رحمهما الله كتمت وفاته الى حين وصوله الى اشبيلية

الخليفة يعقوب المنصور

كنيته ابو يوسف تلقب بالمنصور بنوه الذكور ثمانية ووزراؤه اخوه ابو عبد الله وابو علي ابن ابي زيد الهنتاتي وابو يحيى بن السيد ابي محمد بن ابي حفص كانت خلافته اربعة عشر سنة وواحد عشر شهرا واربعة ايام

جوازه الى الاندلس

في خلافته مرتين افتتح في الاولى مدينة شلب وفي الجواز الثاني كانت الهزيمة العظمى على النصارى التي لم يعهد مثلها وهي التي تسمى وقيعة الارك وامر كاتبه ابا الفضل ابن ابا الطاهر ان يوجز في كتاب هذا الفتح وان ينحو فيه منحى كتب الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين . وكانت هذه الوقيعة سنة احدى وتسعين وخمسمائة ولما دنت وفاته رحمه الله جمع بنيه والموحدين ووصاهم بوصايا منها : ايها الناس اوصيكم بتقوى الله واوصيكم بالايتام واليتيمة فقال له الشيخ ابو محمد عبد الواحد ابن ابي حفص يا سيدنا ومولانا وما الايتام واليتيمة فقال الايتام اهل جزيرة الاندلس وهي اليتيمة فاياكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الاسوار وحماية الثغور وتربية اجنادها وتوفير رعيتها ولتعلموا اعزكم الله انه ليس في نفوسنا شيء اعظم من همها ولو

مد الله لنا في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها حتي نعيدها دار اسلام ونحن الان قد استودعناها الله تعلى وحسن نظركم فيها فانظروا للمسلمين واجروا الشرايع على مناهجها وفاته بمراكش في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بحاضرة تينمال لسق ابيه وجده ❊ وولي بعده رحمه الله تعالى ابنه كنيته ابو عبد الله الخليفة ابو عبد الله الناصر ❊ تلقب بالناصر لدين الله بنوه ثلاثة اكبرهم ابو يوسف يعقوب الوالى بعده وزراؤه استوزر رجلا خا لا يعرف بابن سنى كانت خلافته خمس عشرة سنة واربعة اشهر وثمانية عشر يوما وهو الذى ولي على افريقية شيخ الموحدين ابا محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى جد ملوكها الان جوازه الى الاندلس سنة سبع وستمائة واقام فيها نحو عامين واستفتح معقل شلنطرة وفي صفر سنة تسع وستمائة كانت عليه وعلى المسلمين الهزيمة العظمى التى فنى فيها اهل المغرب والاندلس الشهيرة بكائنة العقاب وفي اثنائها عاد قافلا الى حاضرة مراكش واغتم من اجلها غما كبيرا كان السبب في وفاته بمراكش في شعبان سنة عشرة وستمائة وولى بعده ابنه ❊ يوسف المستنصر ❊ كنيته ابو يعقوب تلقب بالمستنصر بالله لم يعقب . وزيره عبد الله بن واندين بويع له وسنه

عشرة اعوام كانت خلافته عشر سنين واربعة اشهر ويومين في مدته تهدنت البلاد الاندلسية والافريقية من غير منازع ولا معاند لم يكن له حركة تذكر ولا غزوة تشهر ولا خرج من حاضرة مراكش لمدينة تينمال على عادتهم في زيارة المهدي كانت ايامه هادئة ليس فيها كبير مفاتنة ومدته كانت اخر ضخامة الدولة الموحديه وفاته بحاضرة مراكش في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة وولي بعده عم ابيه ❊ الخليفة ابو مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المومن ❊ كنيته ابو مالك كانت مدته ثمانية اشهر وتسعة ايام قال الملاحي يذكر عنه انه كان مجاب الدعوة خالف عليه عبد الله ابن اخيه يعقوب المنصور فاشهد على نفسه بالتخلي عن الخلافة في شعبان سنة احدى وعشرين وستمائة وفاته بعد تخليه عنها بثلاثة ايام وولى بعده ابن اخيه ❊ الخليفة ابو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور ❊ كنيته ابو محمد تلقب بالعادل بالله كانت خلافته ثلاثة سنين وثمانية اشهر وتسعة ايام وفاته سنة اربع وعشرين وستمائة وولى بعده اخوه ❊ الخليفة المامون ❊ ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور كنيته ابو العلاء تلقب بالمامون كانت خلافته خمس سنين وثلاثة اشهر وكانت له نفس كبيرة وكان عالما كاتبا اديبا فصيحا بليغا

ذا نجدة ورأي وحزم الا ان دولته كانت مزاحمة بابي زكريا يحيى
ابن الناصر فلم يتأت له معه تمهيد . بنوه ابو محمد عبد الواحد الوالى
بعده وعبد العزيز وعثمان والحسن علي السعيد الوالى بعد اخيه
الرشيد ووزراؤه ابو زكرياء ابن ابي العمري كانت له بالاندلس
وقايع كثيرة وهو الذي بنا قصر السيد بمالقة حين كان واليا عليها
سنة ثلاث وعشرين وستمائة وبرأيه واختراعه كان جميع بنائه
وهو الذي امر بزوال اسم المهدي من السكك وغيرها ومن الخطبة
وازال سير جميع الموحدين مما كان العمل به في سائر دولة الموحدين
وكتب بذلك رسالة بخط يده وبعث بها الى الاقطار وهي شهيرة وفي
شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة قتل المامون بمراكش
من مخالفيه الناكثين لبيعته بفتوى القاضي المكيدي اعدادا لا تحصى
وساق من رءوسهم الى حاضرة مراكش اربعة عشر الف فارس مقطوعة
وقيل اكثر . حدث السيد ابو زيد بن السيد ابي زكرياء انه وصله
كتاب المامون يخبر بان عدد الرءوس المقطوعة كانت اربعة عشر الفا
وعلقت باسوار مراكش في زمن الحر وشدة القيظ فتكلم معه كاتبه
الفقيه ابو زيد الفازازي في ازالتها وازالة الروايح الكريهة عن البلد
فقال المامون ان هاهنا مجانين هذه الرؤس احرازا لهم وروايحها

عطرة عند المحبين كريهة عند المبغضين ومما نظمه المامون عند قتلهم

اهل الحرابة والفساد في الورى ... يعزون في التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره ... بالقطع والتعليق في الاشجار
ذكارهم ذكرى اذا ما ابصروا ... فوق الجذوع في ذرى الاسوار
لو عم حكم الله سائر خلقه ... ما كان اكثرهم من اهل النار

وفاته رحمه الله بمراكش في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة
وولي بعده ابن اخيه ﴿ الخليفة يحيي بن الناصر ﴾ ابن اخيه الناصر
بالله ابي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور كنيته ابو زكرياء تلقب
بالمعتصم بالله كانت مدته تسع سنين وكانت ايامه كلها نكدة لم يستقم
له امر نحو سنتين وفي سنة سبع وعشرين وستمائة تلاقى بالمامون
ابي العلاء بغربة مراكش فانهزم يحيى وفر الى الجبل وفاته رحمه الله
بفحص عبد الله بين مدينة فاس وتازا في شوال سنة ثلاث وثلاثين
وستمائة وولي بعده ﴿ الخليفة ابن المامون ﴾ ابي العلاء ادريس بن
يعقوب المنصور كنيته ابو محمد تلقب بالرشيد كانت خلافته
عشر سنين وخمسة اشهر وتسعة ايام وفاته رحمه الله بمراكش
سنة اربعين وستمائة وولي بعده

الخليفة ابو الحسن علي بن المامون

ابي العلاء ادريس كنيته ابو الحسن تلقب بالسعيد كانت مدته خمس سنين وثمانية اشهر وعشرين يوما في مدته كان ظهور السلطان ابي يحي يغمراسن بن زيان بتلمسان وتحرك اليه بالجيوش المغربية وحاصره بجبل تامغروت باحواز تلمسان فصادفه السلطان ابو يحي على حين غفلة فانحدر اليه من الجبل واغتنم منه غرة فقتله وتفرقت محلته . وفاته رحمه الله في صفر سنة ست واربعين وستمائة وولي بعده ﴿ الخليفه عمر المرتضى ﴾ بن السيد ابي ابراهيم اسحاق بن امير المؤمنين ابي يعقوب يوسف بن عبد المومن . كنيته ابو حفص تلقب بالمرضي كانت مدته ثمانية عشر سنة وتسعة اشهر واثنين وعشرين يوما في مدته استولى الامير ابو يحي ابن عبد الحق على مدينة تازا واستولى ايضا في مدته على مدينة فاس وفي مدته ثار بسبتة الفقيه ابو القاسم بن الفقيه العالم ابي العباس العربي اللخمي في سنة سبع واربعين وستمائة ووالده السيد اسحاق بن يوسف هو الذي بنى قصر السيد وهو القصر الكبير الذي على نهر شنيل خارج غرناطة وهو الذي بنى الرابطة امامه سنة خمس عشرة وستمائة لم تكن له في مدته حركة الا زيارة قبر المهدي بحاضرة تينمال على عادة سلفه وكان له حظ وافر من العلم والادب وبراعة الخط . ومن شعره

وما العمر الا الاقل … وجاز لروحي فراق الجسد
دعوت الى الله مستعطفا … ليصلح مني ما قد فسد
ويصلح نفسي واخلاقها … ويذهب عنها الرياء والحسد
فسوق الرياء بها نافق … وسوق العفاف بها قد كسد

خلعه الوالي بعده وفر من حاضرة مراكش الى ازمور فثقف بها الى ان وجه عنه الوالي بعده فقتل في اثناء الطريق وقبره معروف وفاته رحمه الله في صفر سنة خمس وستين وستمائة . وولي بعده رحمه الله الخليفة ﴿ ابو العلاء ادريس الواثق بالله المعتمد عليه ﴾ ولقب بابي دبوس لانه كان في بلاد الاندلس لا يفارق الدبوس فشهر به . كانت مدته من حين استقراره بدار الخلافة بمراكش سنتين واحدى عشر شهرا وعشرة ايام وكانت ايامه نكدة فكثرت المخالفون عليه وهو الذي ثقف اولاد عمر المرتضى طول حياته الى ان انقضت واخرجهم من الثقاف السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق المستولى على دولتهم اجازهم الى الاندلس وحصلوا باشبيلية عند ادفنش صاحب قشتالة ثم انتقلوا الى حاضرة غرناطة باستدعاء السلطان ابي عبد الله محمد بن محمد بن نصر سنة اثنى عشر وسبعمائة ولما وصلوا اليه احسن نزلهم واكرم مثواهم واجرى

عليهم الارزاق واثبت لهم الجرايات وهي باقية تجري على من بقى من عقبهم الى هذا العهد ، وكانت وفاته بمراكش فى محرم سنة ثمان وستين وستمائة وبوفاته رحمه الله انقرضت دولة الموحدين بني عبد المومن من المغرب ودرست آثارها ﴿ويحكى﴾ ان رجلا من الصالحين ببجاية انشد فى منامه هذين البيتين فورخ ذلك اليوم فوجدوه يوم مقتل ابي دبوس وهما

ملك بني مومن تولى   وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا   سبحان من لا يبيد ملكه

قال الوزير ابو الحسن بن سعيد العنسي لما استولى الهدم والخراب على معظم ديار مراكش بالفتنة المتصلة وانقراض دولة الموحدين ووجدت على بعض قصورها مكتوب بفحم

ولقد مررت على رسوم ديارهم   فبكيتها والربع قاع صفصف
وذكرت مجرى الجور في عرصاتهم   فعلمت ان الدهر فيهم منصف

قال فتناولت بياضا من بقايا جيار وكتبت تحته

لهفي عليهم بعدهم بشتاتهم   بالله قل لي في الورى هل يخاف
من ذا يجيب مناديا لوسيلة   ام من يجير من الزمان وينصف
ان جار فيهم واحد من جملة   كم كان فيهم من كريم يعطف

ورحم الله الوزير الحسيب ابن سعيد وشكرا متعاطيه لمتواليه وكانت مدتهم اول ظهور المهدي الى وفات ابى دبوس مائة سنة واثنين وخمسين سنه سبحان من لا يبيد ملكه ولا ينقطع سلطانه لا اله الا هو وولي بعده السلطان ﴿ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق﴾ بن محمد بن ابى بكر بن حمامة بن محمد ابن كرناط بن مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن ابن يدر بن يخفت بن عبد بن ورثيث بن المعز بن ابراهيم بن سجيح بن واتيفس بن يصلاتن بن مشري بن راكيا بن وسيك بن زنات بن جانا بن يحي بن يمريت بن ضريس وهو جالوت الاول ملك البربر بن رجيح بن مادغيس الابتر بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان استولى على ملك الموحدين واجتثت شجرتهم من فوق الارض وورث سلطانهم كان دخوله الى مراكش في يوم عاشوراء سنة ثمان وستين وستمائة لما اتته البيعة من اهلها . بنوه ابو مالك عبد الواحد ولي عهده درج على حياته ابو يعقوب يوسف الوالي بعده . ابو زيان منديل . ابو سالم ابراهيم درج في حياته . ابو عامر عبد الله وفقد في حرب كانت بينه وبين المرضي ابو معروف محمد ابو يحي فكانت مدته من اول ظهوره ثمانية وعشرين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وقد كان ولي

الامر قبله اخوته الثلاثة الامير ابو سعيد عثمان والامير ابو معروف محمد والامير ابو يحيي فلما توفى الامير ابو سعيد عثمان فتقدم اميرا على بني مرين لما قتلت رياح والده رحمه الله واخاه ادريس رحمه الله ولما تقدم خرج بهم الى غزو عرب رياح وحلف الا يكف عنهم حتى يقتل بيده مائة شيخ من اشرافهم فقتل منهم خلقا عديدا وكان اول من بايعه من اهل المغرب هوارة وزجراجة ثم تسول ثم مكناسة ثم بطوية ثم فشتالة ثم سوراتة ثم بهلولة ومديونة هؤلاء هم السابقون لبيعته فوضع عليهم الخراج واخرج عليهم الحفاظ وكان ذلك سنة اربع عشر وستمائة وصالح اهل فاس وتازة ومكناسة ونصر عبد الكريم على اموال معلومة يؤديها اليه في كل سنة واستمر حاله الى ان اغتاله علج له كان رباه صغيرا ضربه بحربة في نحره فمات من حينه رحمه الله سنة ثمان وثمانين وستمائة فكانت امارته على مرين وبوادي المغرب من يوم وفاة والده الامير ابي محمد عبد الحق رحمه الله ثلاثة وعشرين سنة وسبعة اشهر واما الامير ابو معروف محمد فاجتمع عليه اشياخ بني مرين لما قتل اخوه ابو سعيد عثمان رحمه الله وبايعوه على السمع والطاعة وان يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم فاستقام له امرهم وسار بسيرة اخيه وفتح كثيرا من جبال المغرب وبواديه وكان شهما

بطلا شجاعا لم يفتر في ايامه من قتال عارف بمكابدة الحروب وخدعها فكان كما قال فيه الراجز

ثم ولي من بعده محمد — وكان في اموره مسدد
فكان لا يفتر عن قتال — مواظبا للحرب والنزال
كم عسكر لاقى وكم حشود — ومن جموع جمة الجنود
وكل جيش جاء من مراكش — افناه بالحروب والتناوش
نهاره وليله طعان — لكنه مؤيد معان

ولم يزل يحارب جيوش الموحدين فيرجعون عنه خاسرين وان السعيد كان قد بعث اليه في مدته بجيش كثيف من عشرين الفا من الموحدين والعرب وهسكورة وقواد الروم فالتقى الجمعان بابي نياس من احواز فاس فكانت بينهم حروب عظيمة من اول النهار الى اخره انجلت عن قتال الامير ابي معروف رحمه الله قتله زعيم من الروم في المعترك وانهزمت بنو مرين لما توفي الامير ابو معروف وذلك في عشي يوم الجمعة الخميس التاسع لجمادى الاخيرة سنة اثنين واربعين وستمائة واما الامير ابو بكر ابو يحيي فولي بعد اخيه ابي معروف وكانت امه حرة عبد الوادية وكان مطلق اليدين يرمي بحريشين في حالة واحدة ولما كان اخاه كان اول شيء فعله انه جمع اشياخ بني

موين وقسم عليهم ما كان بيده من المغرب فانزل كل قبيلة في ناحية منه وجعل لها ما نزلت فيه من الارض وما غلبت عليه من البلاد ونزل زرهون وكان يقاتل منه مكناسة حتى تغلب عليها سنة ثلاث واربعين وستمائة وفي سنة ست واربعين وستمائة ملك مدينة فاس بعد موت السعيد كانت وفاته سنة ست وخمسين وستمائة رحمه الله مرض بفاس ودفن بداخل باب الجيزيين من ابواب عدوة الاندلس بازاء قبر الشيخ الصالح ابي محمد الفشتالي رحمه الله هذا تلخيص الخبر عن هؤلاء الامراء الثلاثة رحمهم الله وقد كان ابوهم الامير ابو محمد عبد الحق رحمه الله قام بامر بني مرين وجاز الى الاندلس اربع مرات ﴿ الجواز الاول ﴾ سنة اربع وسبعين وستمائة من قصر الجواز وفي هذه السنة قتل اليهود بفاس وفيها ابتدا بناء البلد الجديد بخارج مدينة فاس وهو المدينة البيضاء وتم في ذي الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة ﴿ الجواز الثاني ﴾ سنة ست وسبعين وستمائة من قصر الجواز الى طريف قاصدا الى مدينة اشبيليا دخل اليها على جهة زندة وكان معه في هذه الغزوات ابناؤه الاميران ابو يعقوب وابو زيان منديل دخلوا قرب الشريف. ﴿ الجواز الثالث ﴾ سنة احدى وثمانين وستمائة وشرع عند ذلك في بناء سور (البنية)

بالجزيرة الخضراء واجتمع بصخرة عناد مع صاحب قشتالة ورغب منه في اعانته على القائم عليه من اهل ملاله ﴿ الجواز الرابع ﴾ سنة اربع وثمانين وستمائة وجاز معه ابناؤه الاميران ابو يعقوب وابو زيان منديل وحاصر في هذا الجواز مدينة شريش مدة من اربعة اشهر وفي مدة سنة ست وثمانين وستمائة وفاته بالبنية من الجزيرة الخضراء وذلك في محرم سنة خمسة وثمانين وستمائة ونقل منها الى سلا رحمه الله وولي بعده ابنه ﴿ السلطان ابو يعقوب يوسف ﴾ ابن ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق كانت مدته احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر ونصف شهر. بنوه ابو سالم وابو حامد عبد الله وابو سرحان مسعود توفي بطنجة وعبد المومن. وجاز الى الاندلس سنة تسعين وستمائة ونزل على بحيرة وقد كان جاز اليها مع ابيه حاصر تلمسان الحصار الطويل الشهير وعليها هلك وفاته بتلمسان في ذي القعدة سنة ست وسبعمائة ونقل منها الى سلا وولي بعده رحمه الله حفيده ﴿ السلطان ابو ثابت عامر ﴾ ابن الامير ابي عامر عبد الله بن السلطان ابي يعقوب يوسف بن السلطان ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق وفاته بتلمسان بعد اختلاف وقع ونزاع انجلى الامر فيه عن قتل جماعة من اكابرهم رحمهم الله كانت

مدته سنة واحدة وثلاثة اشهر وعمره اربعة وعشرين سنة وفاته
باحواز طنجة في صفر سنة ثمان وسبعمائة ودفن بقصبتها ثم نقل الى
شالة فدفن بها ملاصقا لجده ابي يعقوب رحمه الله وولى بعده اخوه
﴿ السلطان ابو الربيع ﴾ سليمان بن الامير ابي عامر عبد الله بن
السلطان ابي يعقوب تصير له الملك بعد اخيه وفي مدته عام تسعة
وسبعمائة عادت سبتة الى ايالتهم كانت مدتهم سنتين واربعة اشهر
وثلاث وعشرين يوما وفاته بتازه في مستهل رجب سنة عشرة
وسبعمائة وهو مدفون بصحن مسجدها وولى بعده رحمه الله عمه
السلطان ﴿ ابو سعيد عثمان ﴾ بن السلطان ابي يوسف يعقوب بن
عبد الحق مولده في حياة جده سنة اربع وسبعين وستمائة كانت
مدته عشرين سنة ونصف سنة وفاته في ذي القعدة سنة احدى
وثلاثين وسبعمائة بخارج فاس اثر مقدمه من تلمسان وولى بعده
رحمه الله ابنه السلطان ﴿ ابو الحسن ﴾ كانت مدته عشرين سنة
واربعة اشهر وفاته بجبل هنتاتة من مراكش في اخر شهر ربيع
الاول المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة وولي بعده رحمه الله
ابنه السلطان ﴿ ابو عنان فارس ﴾ تلقب بالمتوكل على الله امير المومنين
كانت مدته سبع سنين وتسعة اشهر وفاته في الرابع والعشرين

من ذي الحجة عام تسعة وخمسين وسبعمائة وولي بعده رحمه الله
ابنه السلطان ابو بكر كانت مدته سبعة اشهر وعشرين يوما
وولي بعده رحمه الله ابن عمه السلطان ﴿ ابو سالم ابراهيم ﴾
بن السلطان ابي الحسن تلقب بالمستعين بالله كانت مدته
سنتين وثلاثة اشهر وخمسة ايام وفاته في ذي القعدة عام اثنين وستين
وسبعمائة . وولي بعده اخوه السلطان ﴿ ابو عامر تاشفين ﴾ بن السلطان
ابي الحسن كانت مدته ثلاثة اشهر . وولي بعده ابن اخيه السلطان
﴿ ابو زيان محمد ﴾ بن الامير ابي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي
الحسن كانت مدته نحو خمسة اعوام وفاته عام ثمانية وستين وسبعمائة
وولي بعده عمه السلطان ﴿ ابو فارس عبد العزيز ﴾ بن السلطان ابي
الحسن كانت مدته نحو خمسة اعوام وفاته بتلمسان في شهر ربيع
الاول عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة . وولي بعده ابنه السلطان ﴿ محمد
السعيد ﴾ وسنه اذ ذاك نحو خمسة اعوام كانت مدته نحو سنتين وخلع
في محرم من سنة ستة وسبعين وسبعمائة . وولي بعده بحاضرة مراكش
السلطان ابو زيد بن عبد الرحمن المتوكل على الله بن الامير ابي
الحسن علي بن السلطان ابي علي عمر بن السلطان ابي سعيد عثمان
ابن السلطان ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق استقر بحاضرة

مراكش في شهر الله المحرم من عام ستة وسبعين وسبعمائة وهو بها الى هذا العهد الذي اتفت فيه هذا المجموع يوم الخميس الثاني عشر لشهر ربيع الاول من عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة عرف الله فيه المسلمين عوارف الخير والسير وانجز لهم الموعود فيما هم فيه يرتقبونه من طلائع النصر وظهور هذه الملة الحنيفة في اشياع الكفر فيجب لذلك من المدة سبعة اعوام وشهران والله تعلى يجبر حاله ويسني في صلاح المسلمين مبتغاه وامله بفضله وكرمه . وتلخص من هذا الاختصار المبنى وضعه على حديث الحصار ما اجتلبه القصص من الانباءات والعبرة والاستبصار . ان مدينة مراكش يجب لها من السنين الى هذا الزمان من لدن اختطاط المكان والاحتلال بها بالساكن وتصيرها بالعمران بعد ان كانت مراضا للاسد ومسكنا للغزلان حسبما تقدم قبل باوضح بيان . ثلاثمائة سنة وعشرين سنة منها من حين تحليقها بالسور البعيد القطر الطويل الخطر بسبب ما ذكر من ظهور المهدي على المرابطين مائة سنة وثلاث وستون سنة . المختص بملوك المرابطين رحمهم الله من بدء الاعتمار لتسع وسبعين سنة . والمختص بدولة الموحدين رحمهم الله من حين استيلائهم على دار الخلافة بمراكش واستقرارهم بحاضرتها

على حسب ما تقدم فى موضعه مائة سنة وست وعشرون سنة والمختص بدولة ملوك بني مرين اعزهم الله من حين انقراض دولة الموحدين الى هذه الغاية مائة وخمسة عشر سنة فالمجتمع من هذا التفصيل الذي لا يليق جهله بمن عنا بالاخبار من ذوي الادراك والتحصيل ثلاثمائة سنة وعشرون سنة حسبما تقدم قبل ومبلغ عدد خلفائها رحمة الله عليهم اثنان وثلاثون . المرابطون منهم رحمهم الله اربعة هم يوسف بن تاشفين بعده ابنه علي بن يوسف ثم بعده تاشفين بن علي ثم بعده ابنه ابراهيم بن تاشفين . نسبهم المرابطون الذين هم لمتونة يرجع الى صنهاجة وصنهاجة ترتفع الى حمير وحمير احد العشرة من اولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عامر ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان هؤلاء العشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة حسبما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان حمير ممن تيامن واتخذ اليمن قرارا ثم انتقلوا من اليمن الى الصحراء ومن الصحراء خرجوا الى المغرب هذا تلخيص انباء المرابطين رحمهم الله (والموحدون) اربعة عشر اولهم المهدى محمد بن تومرت ثم بعده خليفته واحد العشرة من اصحابه ابو محمد عبد المومن بن علي ثم بعده ابنه ابو يعقوب يوسف بن عبد

المومن ثم بعده ابنه ابو يوسف يعقوب المنصور ثم بعده ابنه ابو عبد الله بن ناصر ثم بعده ابنه ابو يوسف يعقوب المستنصر ثم بعده عم ابيه ابو مالك عبد الواحد بن يوسف عبد المومن ثم بعده ابن اخيه العادل ابو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور ثم بعده اخوه المامون ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور ثم بعده ابن اخيه المعتصم ابو زكرياء يحي بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور ثم بعده ابن اخيه الرشيد ابو محمد عبد الواحد بن المامون ابي العلاء ثم بعده اخوه السعيد ابو الحسن علي بن المامون ثم بعده ابن عم والده المرتضى ابي حفص عمر ابن السيد ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن ثم بعده ابن عم والده ابو دبوس الواثق بالله ابو العلا ادريس بن السيد ابي عبد الله محمد ابن السيد ابي حفص عمر بن عبد المومن الذي انقرضت على يده دولتهم . واما نسب الامام المهدي فقد تقدم قبل هذا عند ذكره وانه يرفع الى الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وما فوقه من النسب الشريف مشهور واصله من هرغة من بلاد سوس الاقصى وسوس الاقصى هو بلاد ماسة وهو على عين القبلة من جبل درن الى ان يتصل بالصحراء واما نسب عبد المومن فقد تقدم في اسمه وانه يرفع الى قيس ابن غيلان وقيس بن غيلان يقال فيه قيس غيلان واسمه الياس وهو

ابو قبيلة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان اصل عبد المومن من كوميه هنين زناتي الاصل من موضع يعرف بتاجرا على ثلاثة اميال من مرسى هنين بتاجرا من عمل تلمسان وطن زناتة انقضى الكلام في الموحدين واعود الى من ولي بعدهم على جهة الاختصار (ابو عبد الحق) منهم من درج واعز من خلف . نسبهم يرجع الى بني مرين وبنو مرين يرجع الى زناتة وزناتة من اولاد جنا بن يحي ابن ضريس بن زحيك بن مادغيس بن بر بن قيس بن غيلان وقد كان جماعة من العلماء ممن له اعتناء بهذا الشان ينسبون لبر بن قيس المذكور وقال واجاز في كتابه انهم عرب الصحراء وانما تبربروا بالمجاورة والمخالفة للبربر (قال ابن رشيق) ان البرابر باجمعها من ولد جالوت الا قبيلتين صنهاجة وزناتة فانهما ينتسبان الى حمير اصلهم اصل بني مرين من حوز تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ودار مملكة زناتة على قديم الزمان وكان وطنهم ما بينها وبين تاهرت من شرقها يجاورهم في السكنى من زناتة بنى يغمراسن وبنو تجين وبنو مغلاوة وبنو راشد وغيرهم وكان غالبهم الفرسان (قال ابن رشيق) اصل زناتة من الشام وكانت دارهم فلسطين وملكها جالوت فلما قتله داوود عليه السلام جاءت البربر الى المغرب فانتشروا الى السوس الاقصى . ومنذ

وقع ذكر البرابر فاشير الى طرف من اصول انسابهم من جهة زناتة وغيرها على جهة الاختصار واعراض البرابر هم : هوارة وبهقيلة وضريسة ومغراوة وبنو يفرن وبنو دمر وربع و ـ لدراته ومسطاتة ومازورة ونفزة وبنو غجدمة ولهاهة ولواتة ومديونة ومطماطة وكتامة ومزيانة وبربوشة واورية ولجاية وربوحة وتلكاتة وكزناتة ومكلاتة ونفوسة ولمطة ومدبونة وعجيسة ومكناسة وزواغة وزواوة وصرفورة وزهايمة ومسارة وزداجة ومغرة ومصمودة وغمارة وبنو زروال وبنو سعيد وبنو سنجوم وبنو يازين وبنو خالد وبنو منهوشة وبنو شراحيل وبنو وربح ولماية وغير هاؤلاء وهم بطون كثيرة وتفرعوا تفريعا عريضا ليس هذا الموضع محل بسط القول وتقصى الانباء اعا بني فيه على الاختصار واطراح التطويل فاعود الى ما كنت بسبيله من ذكر الملوك من بني عبد الحق . عددهم اربعة عشر ملكا من ملوك مراكش اولهم السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق ثم بعده ابنه السلطان ابو يعقوب يوسف بن يعقوب ثم بعده حفيده ابو ثابت عامر بن عبد الله بن السلطان ابى يعقوب ثم بعده اخوه السلطان ابو الربيع سليمان ابن الامير ابو عامر عبد الله ثم بعده عم ابيه السلطان ابو سعيد عثمان بن السلطان ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق ثم بعده ابنه السلطان ابو الحسن علي وبعده ابنه السلطان

ابو عنان فارس ثم بعده ابنه ابو بكر السعيد ثم بعده عمه السلطان ابو سالم بن ابراهيم بن السلطان ابي الحسن ثم بعده اخوه ابو عمر تاشفين ابن السلطان ابي الحسن ثم بعده ابن اخيه السلطان ابو زيان محمد بن الامير ابى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابى الحسن ثم بعده عمه السلطان ابو فارس عبد العزيز ابن السلطان ابى الحسن ابنه السلطان محمد السعيد ثم بعده بقاعدة مراكش المذكور السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن بن الامير ابى الحسن علي بن السلطان ابى علي عمر بن السلطان ابى سعيد بن السلطان ابى يوسف بن عبد الحق الى هذا الزمان الذي تعرف فيه اهل كلمة الايمان عوارف اليمن والامان وذلك بسعادة ايام مولانا الامام خليفة رب العالمين الغنى بالله امير المسلمين كبير الملوك وقدوة الخلفاء المخصوص من الله بمزايا الاجتباء والاصطفاء عز الاسلام وبهجة الايام حامل الكل وكافل الكل ادام الله حياته وعصم الكريم ذاته . بفضله وكرمه . فلقد اضاء الاسلام بحسن تدبيره . وجميل سعده وفرت شواهد الاغتباط على من آوى الى كنف رعيه حتى ملوك الاقطار مهما استشاروه يحمدون عاقبة تلك الاستشارة . وتصدر وفودهم من بابه بانجح راي واعظم بشارة . فآمالهم اليه مصروفه . واحكامهم على سياسته الحسنه موقوفة . فسبحان الذي خص هذه الايالة النصرية الخزرجية بخالص

السريرة وكرم السجية وطوبى لمن نشا من خدمتها العزيزة تحت ظلال اكنافها ولحقت لابائه عناية اسلافها فلقد نال من حظ الدنيا والاخرة مبتغاه . وءامن من عدوان الزمان ووغاه . على انه من اطلع على اخبار الخلفا ونظر في السير من العهد السالف يرى ان هذا الاندلس بوجودهم كفاه الله عميم جودهم كان لم تعمر اعاصرها ولا عدم منصورها ولا ناصرها احيوا فيها رسوم العدل بعد عفائها واربوا المحاسن المتعددة على خلفائها واما ما يكابد فيها وما كان ءاباؤه قبله يكابدونه فباتصال العافية دون الادراك ومن دونه لا يعتبر حرب الزمان ولا الهدنه ولا يعلم ان عدو الاسلام وان وجد اسلام ما زالوا يجاهدونه والله سبحانه هو الذي يجزي فعلهم من الخير الذي عنده عز وجل يجدونه ومع هذا فليس له ابقاه الله في الدوحة من اهل الزمان والعدوة الا اعمال الفكر في مصالح الاندلس والعدوة يتكلف في اصلاح ذات بين المسلمين انهض المكاف ويكلف بتسكين احوالهم اشد الكلف وقد الف الان بنية صالحة في تلك العدوة بين القلوب واغمد بده العزيز سيوف الفتنة بين الطالب والمطلوب ما زال يجاهد في اطفاء نارها من اولها واخرها يتاول امر المسلمين احسن متاولها فكم حقن من الدماء وتدارك من الذمام وفرج من الغماء وسكن من الدهاء فبصالح تدبيره يرتفع الضغان والاختلاف . ويغتنم الاتفاق والايتلاف . وتستقيم

احوال كل فريق ويستامن السلوك على كل طريق ويستقبل الناس هدوا مستانفا ويعود العمران لتامسنا وءافا واما احوال ازمور فتصلح به الاحوال وتستقيم الامور . واما وادي ام الربيع فيرجع سوقا للشراء والبيع واما وطن دكالة فعلى نظره الجميل وقف امكانه . واما صنهاجة فتصلح وان مستها الحاجة . واما اهل وريكة واغمات فببركة رايه يهدي لمن عاش ويرحم من مات . واما اهل تنصغرت وكيك فما في استقامة طاعتهم ريب ولا تشكيك . واما اهل جبل درن فما بقي في خلقهم جماع ولا حزن . واما اهل تينمال فتتمشى احوالهم على نهاية الكمال . واما قبيلة هسكورة فتصدر عنهم افعال مشكورة . واما اهل هنتاتة فيبدي كل واحد منهم خلوصه وامتثانه واما سائر الاشياخ والمزاورة فيردون بلادهم لبلادنا مجاورة . واما اهل سوس الاقصى فيتعرفون من الخير مالا يحصى . واما اهل جزولة فيرتفع عنهم ما يتوقع نزوله . واما اهل ريف اسفي فيقفون على يد هذا الملك المجاهد الموفي . عاملنا الله باللطف الخفي فتامر البرابر ان شاء الله في عدلهم ويضعون اوزار حربهم وتصلح احوال مدتهم وعزمهم ويتولد الخيل والابل وتكثر الماشية وتسكن بسعادة تدبيره كل فتنة ناشئة وتتصل بالعدوتين ايدينا وايديهم وتصرف الوجوه الى اشياع الكفر اعادينا واعاديهم فمساعيه الكريمة فيما يؤول

لاجتماع الكلمة وانتظار امر الامة المسلمة لا يعلمها الا الذي اختصه بها وفضله واختاره للخلافة في ارضه واهله فالله تعالى يحفظ بوجوده هذه الدولة ونظامها ويبقي لاظهار الدين دوامها بفضله وكرمه اللهم احفظ اياالله التى كرم منتهاها واشكر سعيه في حوزة الاسلام التى دافع عنها وحماها اللهم احفظ بحسن سيرته جميع الاحباء وابلغ من فضلك اقصى الامانى وغاية الرجاء اللهم ابقه يحيي هذه الجزيرة رسوم طارق بن زياد * وادم لنا ايامه التي هي المواسم والاعياد * انك قادر على اتمام الليالى والايام بالدوام * وهذا ما حضر والسلام * فتبليغ المني متكفل لمن دعى لكاتبه على الدوام * وصلى الله على سيدنا محمد سيد الانام * انتهى

وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب بحسن عون مسهل الاسباب . وكان ذلك بمطبعة التقدم الاسلامية بحاضرة تونس وقد باشر تصحيحها السيد البشير الفورتي وبالرغم عن كونه لا يوجد الا نسخة واحدة من هذا الكتاب وبعض قطع من نسخة اخرى ولم نسمع بانه سبق طبعه فانه جاء بحمد الله خال من التحريف منزه عن التصحيف جزى الله الجميع عن همتهم ونشاطهم في احياء هذه المآثر التي هي لنا ولامتنا مفاخر . وذلك في اواخر شهر ربيع الثانى من عام تسعة وعشرين وثلاثمائة والف من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم